

صرخة حق

تأليف: علي الأمين المزروعى
تحرير: فاروق طوبـان

حاجز الزمن

تأليف: إبراهيم حسين

ترجمة: محمد إبراهيم أبو عجل



1546

روائع الدراما العالمية



صرخة حق، وحاجز الزمن

(مسرحتان)

المركز القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة روائع المسرح العالمي

المشرف على السلسلة: أحمد سنخسوخ

- العدد: 1546

- صرخة حق وحاجز الزمن (مسرحيتان)

- إبراهيم حسين

- فاروق طوبان/ على أمين المزروعى

- محمد إبراهيم محمد أبو عجل

- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة مسرحيتى:

KILIO CHA HAKI

A. Mazrui

Copyright© Published under licence from Longman Kenya Ltd

All Rights Reserved

AND

WAKATI UKUTA

Ebrahim Hussein

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

صرخة حق

تأليف: على الأمين المزروعى

تحرير: فاروق طوبان

و

حاجز الزمن

تأليف: إبراهيم حسين

ترجمة:

محمد إبراهيم أبو عجل



2010

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

صرخة حق وحاجز الزمن (مسرحيتان) / تأليف: على
الأمين المزروعى، إبراهيم حسين، ترجمة: محمد إبراهيم
أبو عجل.

ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠

٢٤٠ ص ، ٢٠ سم

١- المزروعى، على أمين (مؤلف مشارك)

٢- طوبان؛ فاروق (محرر)

٣- أبو عجل، محمد إبراهيم (مترجم)

(أ) المسرحيات العربية

(ب) العنوان

٨١٢

رقم الإيداع ٢٠١٠ / ٥٥٢٨

الترقيم الدولى : 2 - 964 - 479 - 977 - 978 - I.S.B.N

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب
الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى
اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

صرخة حق

تأليف: على الأمين المزروعى
تحرير: فاروق طوبان
ترجمة: محمد إبراهيم أبو عجل

تقديم

عظيم ومفيد أن يقوم عالم لغوى وناقد أدبى بتأليف مسرحية من المسرحيات، هاكم هو الأستاذ الدكتور الأمين المزروعى مؤلف مسرحية "صرخة حق". فالمسرحية فى بنائها الدرامى ونسيجها اللغوى جمعت بين الحسنيين: جمال اللغة واكتمال العناصر الدرامية.

والدكتور الأمين المزروعى حاصل على الدكتوراه فى اللغويات من جامعة ستانفورد، ويعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية من عشرين عاما، ويدرس حاليا فى جامعة Ruegers فى نيوجيرسى. وزوجته من غرب إفريقيا وهى أستاذة فى نفس الجامعة. وعمل منسقا لبرنامج اللغات الإفريقية وأستاذا للأدب الإفريقى فى قسم دراسات السود بجامعة ولاية أوهايو الأمريكية. ونشر الكثير والكثير فى مجال علم اللغة الاجتماعى وفى المجالات السياسية للأدب الإفريقى⁽¹⁾ باللغة السواحلية وبالإنجليزية.

(1) Ali A. Mazrui & AlAmin M. Mazrui: Swahili State and Society: The Political Economy of African Language, East African Educational Publishers, Nairobi & James Currey, London, 1995, Hard Cover Page.

ومن أشهر مؤلفاته السواحلية هذه المسرحية التى بين أيدينا، وكذلك ديوانه الشعرى القيم: سويداء القلب Chembe cha Moyo. وذكر هذا الديوان فى هذا المقام واجب لأنه وبحق يعتبر - وكما ذكر على غلاف الديوان - المنشئة (Mwengo) لمسرحية صرخة حق: أى للمسرحية التى بين أيدينا. والمقصود بالمنشئة هنا هى تلك الأداة التى يذب بها لإبعاد أى كثر عن الإنسان⁽¹⁾. وهذا يعنى أن القارئ لهذا الديوان سيفهم المسرحية فهماً أعمق وأوضح يبعد عنه أى لبس ويعفيه من أى لغط.

ولتلخيص محتوى قصائد الديوان فى جملتين نقول: إنها أشعار ذات إيقاعات عصرية توضح لنا الشاعر الداخلية المنبعثة من الوضع الجديد للعالم الثالث، وتظهر لنا تطلعات البلاد النامية للتغلب على الاستعمار الجديد.

والاستعمار الجديد للغرب New Colonialism من أهم مظاهره عقد اتفاقات غير متكافئة بين الغرب ومن يدور فى فلكه وبين الدول النامية؛ ومنح القروض والمساعدات المالية المشروطة؛ وتقديم المساعدات الفنية والآلات والمعدات الحربية المشروطة مقابل احتكار المواد الخام والمنتجات الزراعية المحلية، والحصول على قدم ثابتة

(1) AlAmin Mazrui: Chembe cha Moyo, East African Publishers, Nairobi 1988.

على الأرض فى صورة قواعد عسكرية. والهدف فى النهاية من كل ذلك هو التغلغل الاقتصادى والثقافى والسياسى لاستخدامه كورقة ضغط عند الحاجة بإثارة الاضطرابات الداخلية أو الانقسامات الطائفية والحزبية من أجل إضعاف البلاد لاستمرار هذا النوع من الاستعمار. وقد بدأ رسم استراتيجيات هذا النوع من الاستعمار الجديد من الغرب وتنفيذها بمجرد رحيله فى شكله القديم وبحصول البلاد الإفريقية وغيرها على الاستقلال.

والمسرحية التى بين أيدينا تعالج مظهرا من مظاهر هذا الاستعمار الجديد، وتنبه إلى كيفية التعامل معه للتخلص منه لصالح القارة الإفريقية وشعوبها.

هذه المسرحية (صرخة حق) تلقى الضوء على صراع مرير بين فئة من العمال الأفارقة المزارعين في شرق إفريقيا وبين فئة عنصرية من البيض (كما يفهم من المسرحية) استولت على كثير من الأراضي الزراعية أثناء الاستعمار الأوربي لإفريقيا بأبخص الأسعار، فأصبحوا ملاكاً لهذه الأرض الزراعية.

واعتمدوا في سياستهم الزراعية على:

- التخطيط لاحتكار ما يزرعون من محاصيل للتحكم في أسعارها.
- وعلى حصر ما يزرعون في محاصيل ذات عائد اقتصادي كبير محلياً ودولياً؛
- وعلى عمالة رخيصة تحقق لهم في النهاية أرباحاً طائلة.
- وعلى التأكد من خلق نفوذ مادي لهم يضغطون به (سياسياً واقتصادياً) على أولى الأمر إن هم (أولو الأمر) فكروا يوماً في التدخل سلباً في استراتيجيتهم الزراعية هذه؛ بالإضافة إلى إيجاد علاقات المصالح المتبادلة بينهم وبين رجال الصف الثاني من السلطة التنفيذية بالبلاد وخاصة من قيادات الشرطة.

- وعلى تجنيد نفر قليل من العمال الأفارقة الذين يعملون بهذه المزارع ليكونوا لهم عيوناً على زملائهم العمال حتى تتم السيطرة الكاملة ووأد أية فتنة أو تمرد أو مظاهرة في مهدها قبل أن تستفحل وتخرج عن نطاق السيطرة.

وهذه الصورة هي صورة مكررة في معظم - إن لم يكن في كل - البلاد الإفريقية تقريبا التي استعمرها الأوروبيون على مدار ما يقرب من قرن من الزمان (نهاية القرن التاسع عشر وحتى الستينات من القرن العشرين)؛ وآثارها السلبية على الوطن والمواطن الإفريقي باقية حتى يومنا هذا في كثير من هذه البلاد.

وحالة زيمبابوى الآن (٢٠٠٦م) ليست منا ببعيد: فرئيسها الحالى روبرت موجابى يواجه ويقاوم الكثير من الضغوط السياسية والاقتصادية من جراء محاولته إيقاف سوء استغلال مثل هؤلاء الملاك البيض للأراضى الزراعية بالبلاد. ومن هذه الضغوط ما تقوم به بريطانيا من حملة يقودها رئيس وزراء بريطانيا الحالى تونى بلير على المستوى المحلى والإقليمى والدولى لوضع العراقيل وإثارة القلاقل الداخلية والخارجية ضد موجابى لعله يترك ملاك المزارع من البيض وشأنهم.

هذه الفئة العنصرية يمثلها ديلامون Delamon الذي قدمته المسرحية على أنه "عنصرى صاحب مزرعة"؛ وأعوان هذه الفئة يمثلها شيندو^(١)، زارى^(٢) والعملاء المجندون يمثلهم تريكي^(٣)، بيلخا^(٤) ماتوفو^(٥) تحت ستار أنهم قادة نقابة / جمعية عمال ديلامون، بينما جهاز الشرطة الواقع تحت استغلال نفوذ ديلامون المادى مثله ضابطا المباحث ١، ٢ بالمسرحية.

وعلى الجانب الآخر من الصراع نجد بطلة المسرحية لانينا Lanina تمثل فئة العمال الأفارقة، ومعها من زملائها المخلصين لقضيتهم: موسى Musa، ديوى Dewe، وهؤلاء الثلاثة لم يملكوا سوى الكلمة لطرح قضيتهم والدفاع عنها لتحقيق شيئاً من العدل إن لم يكن العدل كله فى التوازن بين الأجر والعمل؛ بينما فئة ديلامون تملك كل الوسائل المادية وأدوات السلطة التنفيذية لتحقيق وتنفيذ ما تريد وإن كان على حساب الحق والقانون باسم القانون !! ويرى الباحث أن الكلمة الحق على لسان لانينا كانت لها الغلبة فى النهاية على كل هذه السلطات التنفيذية والوسائل والأدوات المادية التى

(١) من معانى Shindo فى اللغة السواحلية: الغلبة / النصر .

(٢) من معانى زارى Zari فى اللغة السواحلية الخيط الذهبى .

(٣) Tereki يمكن أن يكون مقترضاً من الكلمة الإنجليزية Trick بمعنى خدعة .

(٤) Pelekha يمكن أن يكون Peleka بمعنى: يرسل / مراسلة .

(٥) Matovu من معانيها فى السواحلية: النواقص .

نازعت الحق والعدل زورا وبهتانا لقمع الكرامة الإنسانية التى هى
فى كيان وضمير لانينا. وكانت الكلمة أمضى من أسلحة القمع وإن
أدت فى النهاية إلى وضع لانينا ورفقائها فى السجن. ولانينا وإن
كانت قد سجنّت فقد انتصرت للحق، وإن كان انتصارها انتصاراً
مسجوناً مكبلاً بالحديد!!

هذه المرأة الجسور (لانينا) ذات الأفق الواسع والفكر الثاقب
أعطتها المسرحية فى المشهد الأول منها لقب مويكا Muyaka مضافاً
إلى اسمها الأول لتصبح Lanina Muyaka. وهذا اللقب يحمل رمزاً
مهماً من رموز الشخصيات الأدبية والفكرية فى المجتمع السواحلي.
فهو اسم للشاعر والأديب الفحل مويكا Muyaka الذى ينتمى لأشهر
بيوت أهل الساحل لشرق إفريقيا وهو بيت موينى مالندى Mwenyi
Malindi⁽¹⁾. وكان مويكا صديقاً مقرباً لحكام مدينة ممبسة الكينية
وخاصة للذين ينتمون إلى أسرة المزارعة فى ممبسة؛ وعلى وجه
الخصوص للحاكم عبد الله بن حمد المزروعى (١٨١٤-١٨٢٣)
وللحاكم سالم بن حمد المزروعى (١٨٢٥-١٨٣٤). وهو (مويكا)
فى الأصل سليل العرب الغساسنة فى سوريا ممن هاجروا إلى

(1) Muyaka: 19 Century Swahili Popular Poetry, by Prof. Mohamed H. Abdulaziz, Kenya Literature Bureau, Nairobi 1979, pp. 106 – 113.

سواحل شرق إفريقيا فى القرن السابع أو الثامن^(١). وقد ولد مويكا فى ممبسة عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م تقريباً^(٢). وله ديوان شعرى يعرف باسمه: (ديوان مويكا). وكان بجانب ذلك يعمل بالتجارة وتردد على موانئ جزر القمر وعدن ومسقط والهند وإيران^(٣). وتوفى عام ١٨٤٠م تقريباً ودفن فى ممبسة^(٤).

وكان مؤلف المسرحية يريد أن يقول لنا من خلال هذه الرمزية فى لقب البطلة أن صاحبتها من بيت له تاريخ وله شهرة ثقافية وفكرية تؤهلها أن تقود بنى عشيرتها وبنى مهنتها وبنى جلدتها من الأفارقة حتى وإن جار عليها الزمان ووضعها طغاة السياسة والاقتصاد فى السجن!! تحت زعم أنها حرّضت على قتل ديلامون واثنين معه نتيجة حملاتها التتقيفية بأحقية العمال فى المطالبة بحقوقهم العادلة. والبطلة على مدار المسرحية لم تدع إلى عنف ولا إلى قتل وإنما إلى حوار وتثقيف حتى يتم تحقيق ما تدعو إليه وإن أدى الأمر إلى التظاهر السلمى مع وضع ألف خط تحت كلمة السلمى كما أكدت هى على ذلك.

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع السابق.

ولكنه الفساد السياسى والاقتصادى والأخلاقى الذى يقف بالمرصاد فى وجه الإصلاح. ولكنها (لانىنا) لم تياس بل هى ماضية فى قضيتها هذه حتى تأتى أكلها ولو بعد حين: فبالرغم من أنها تعترف بأن السياسة لعبة قدرة إلا أنها تؤمن بأن الكلمة يمكنها أن تنظف السياسة من قذارتها تلك. وهذا ما صرحت به لانىنا فى آخر المسرحية. وإن جاء تصريحها فى صيغة استفهام إنكارى على النحو التالى:

لانىنا : السيد الوكيل!

(الجميع يقف، يلتفت)

اللسان سكين؟

الوكيل : فى ... فى الحقيقة لا ... لا أفهم سؤالك.

لانىنا : لا عليك. شكراً..

(يستديرون ثانية للخروج)

لانىنا : السيد الوكيل !

(يلتفتون ثانية فى مواجهة لانىنا)

من فضلك بلغ زوجى هذا الخبر.

وأخبره أن يشرح لأطفالى كل شىء.

كل شىء لو سمحت.

(الوكيل يلجى برأسه)

الوكيل : تعرفين لاتينا، كان من الأفضل لك إذا ما نأيت بنفسك عن هذه الأمور ومكثت فى بيتك لرعاية زوجك وأطفالك.

فالساسة لعبة قذرة، وهذه اللعبة تترك للرجال!

لاتينا : أجل! حقاً الساسة لعبة قذرة.

وفعلاً لابد الآن من أن ننقيها، وغلق البيوت على المرأة، وعزلها عن حقيقة السياسة طوال حياتها لهو أيضاً من قذارة سياستكم.

الآن لابد من تطهير ذلك.

الوكيل : (ضاحكاً) أحلامك لاتينا!

السياسات؟ كيف تتظفين السياسات؟

لاتينا : (مبتسمة) السيد الوكيل، إذا كان اللسان استطاع أن يكون سكين قتل، فلماذا لا يمكن أن يكون صابون تنظيف؟

ولم تكتف لانينا بالتصدى لما تراه ظلاماً اجتماعياً للعمال
فحسب وإنما امتد كذلك للمطالبة بإعطاء المرأة الإفريقية حقوقها
الإنسانية، وأن يكون لها دور إيجابى فى مجريات أمور الوطن سواء
أكانت سياسية أم اجتماعية...

فكيف قامت لانينا بكل هذا؟ وما العقبات التى اعترضت
طريقها؟

كيف تعاملت مع هذه العقبات؟ هل أوصلتها إلى اليأس أم ظلت
يحدوها الأمل؟ ولمن كانت الغلبة فى النهاية؟

كل هذه وغيرها أسئلة تجيب عنها هذه المسرحية الواقعية
والهادفة بأسلوب أدبى رفيع، وبفكر علمى مستنير يخاطب الوجدان
والمنطق والعقل، مع تنقيف أهل الفن والأدب فى العالم بأسره
وتعريفهم بقضية من القضايا التى تؤرق الكثير من شرائح المجتمعات
فى القارة الإفريقية.

صرخة حق

تأليف: على الأمين المزروعى
ترجمة: محمد إبراهيم محمد أبو عجل

الشخصيات

	Lanina	لانيينا
زوج لانيينا	Mwengo	موينجو
أطفال لانيينا	Dida	ديدا
	Badi	بادي
عنصرى صاحب مزرعة	Delamoni	ديلامون
مساعد ديلامون	Shindo	شيندو
	Zari	زري
ساعى مكتب ديلامون	Kimbo	كيمبو
عاملان عند ديلامون يتفقان فى فكرهما مع لانيينا	Musa	موسى
	Dewe	ديوى
قادة ممثلى العمال عند ديلامون	Tereki	تيريكي
	Pelekha	بيليخا

	Matovu	ماتوفو
	Kachero 1	ضابط مباحث ١
	Kachero 2	ضابط مباحث ٢
Wakili Wa Serikali		محامي الحكومة
Mzee Ingeli Mwenye Kiosk	إنجيلي صاحب كشك	العجوز
Mama Mamake Lanina	والدة لاتينا	الأم
Baba Babake Lanina	والد لاتينا	الأب
Maaskari Wawili		عسكريان
Wafanya- Kazi Wengine		عمال آخرون

المقدمة

شخصان هما ديوى وموسى
يجلسان تحت شجرة.
موسى يدخن وينظر إلى السماء
وديوى يتصفح جريدة.

موسى : ديوى إيه

ديوى : (يرد) إيه

موسى : الحياة هنا فى الغربية ستكون صعبة؛ فبدون بطاقات
الهوية سيكون من الصعب الحصول على عمل.

ديوى : لا يهملك، سنحصل على ذلك قريباً!

موسى : بدأنا نحيا حياة بهيمية.

نتصارع مع القطط والكلاب لالتقاط فضلات الطعام
التي يلقونها الناس فى صناديق القمامة!

ديوى : وهل تريد العودة إلى الوطن والموت هناك ينتظرك؟

(صمت. ويعود ديوى لتصفح جريدته)

موسى : ديوى- إيه!

ديوى : إيه!

موسى : إنا لا نحصل على أخبار الوطن.

إننى فى حيرة للغاية.

موزا والأطفال، لا أعرف كيف حالهم.

هذه حيرة ديوي!

ديوى : هون عليك فقريباً سنحصل على ذلك...

(صمت)

هيه! موسى! موسى! استمع

استمع لهذه الأخبار!

أخبار لانيينا!

(موسى يجلس على ركبتيه سريعاً سريعاً أمام

ديوى) استمع!

موسى : (بشغف) هات! هات ما عندك ديوي! اقرأ يا سيد!

اقرأ

ديوى : هيا استمع

موسى : هيا. اقرأ فقط. إنتى مستعد.

ديسوى : هيا (يبدأ فى القراءة ببطء)

"إرسال لانيينا إلى المحكمة

لا نينا مويكا المرأة التى كانت عاملة فى المزرعة المشهورة للسيد/ ديلامون، تم احتجازها مرة أخرى. ولقد شرح مدير الشرطة السيد/ هيندرسون أن لانيينا حرضت على إضراب كبير لعمال مزرعة السيد/ ديلامون بتاريخ ١ مايو، مما تسبب فى قتل ثلاثة من ملاحظي هذه المزرعة..."

موسى : (بغضب) فليستمع هؤلاء الحمقى!

كم كان هؤلاء القوم كذابون حين قالوا إن لانيينا حرضت على الإضراب.

إن لانيينا ما كانت أصلاً هناك يوم الإضراب.

لابد وأن أولئك الخونة الآخرين تأمروا عليها.

ولحظهم ما كانوا موجودين ذلك اليوم.

أولئك يستحقون القتل!

إنهم فئران يسرقون البشر.

ديوى : ولكن الآن هي لانينا

التي دخلت في المشاكل، يا موسى.

إنها تواجه الموت.

موسى : لا بد! ولا بد أن يدخلوها في المتاعب!

ألم تخاطر بمصالحهم يا سيدى!

لانينا أيقظت عزائم كل العمال الآن.

ولكنهم لا يفهمون أن بإدخالها الحجز سيزداد العمال
غليانا، وإنهم سيرون النار تندلع.

إنهم ضباع.

ديوى : ربما! ربما كلماتك حق يا موسى

موسى : إنها فعلاً كذلك.

(ويمد يده لديوى)

ها هي يدى يا ديوى!

لا أقول لك إلا الحق، وسوف ترى.

هيا استمر أنت فى القراءة!

ديوى : (يتنهد) هيا

(يبحث عن مكان توقفه عن القراءة)

"وقد استمر مدير الشرطة هندرسون فى القول بأنه بالرغم من أن لانيانا لم تك موجودة وقت حدوث هذا القتل إلا أنها هى التى حرضت على ذلك الإضراب القاتل..."

موسى : (يبصق بغضب) عجباً إضراب قاتل.

يالقلب الحقائق! وهل تلك البنادق والكلاب المفترسة التى أحضروها لا لتهامنا ليست من الوحشية!

ديوى : (مظهراً بعض الضيق) إذا دعنى أكمل القراءة أولاً...

موسى : أجل، أجل! أكمل أكمل. وماذا بعد؟

(ويجلس جلسة القرفصاء)

ديوى : هيا... إلى أين أنا وصلت؟

موسى : هنا هنا فقط! بأنها وللعجب حرضت على الإضراب القاتل. أولئك حمقى!

ديوى : هيا (يستمر فى القراءة)

... "إنها هي التي حرضت على الإضراب القاتل".
ولذلك فسوف تؤخذ إلى المحكمة قريباً بدعوى
الاشتراك في هذا القتل...

موسى : (بغضب) يا للظلم! بدعوى القتل!

من الذى قتله لانينا يا خلق.

هيا أخبروني، قتلت من؟

أترى! أترى هؤلاء يا ديوي!

إطلاقاً! إطلاقاً! إطلاقاً!

وإن تعجب فعجب قولهم أن لانينا اشترت في القتل!

يا لقسوة هذا الظلم يا ناس!

ديوي : ها هي قوانين العنصريين

لم توضع لصيانة الحقوق!

بل وضعت لحماية المستغلين.

تحمي رأسمالهم.

وتبقى ظلمهم.

ألا تتذكر تلك القضية

قضية تلك الفتاة الريفية.

التي افترستها الكلاب المتوحشة لصاحب المزرعة.

لا لشيء إلا لمجرد أنها مرت بالمزرعة.

لمجرد مرورها بمزرعته!

وماذا تم فعله مع صاحب هذه المزرعة حتى يومنا هذا؟

أنه مستمر يحيا الحياة الرغدة بينما والدا الفتاة
يمرضان من ألم الظلم الذى حل بهما.

وها هي قوانين الرأسمالية يا موسى!

قوانين الغاب!

موسى : حقاً حقاً يا ديوي!

إن كلامك مضبوط تماماً.

ولكن دعنا نواصل القراءة.

وماذا بعد؟

ديسوى : هيا (ينظر أين توقف. ويواصل القراءة)

"القتلة الآخرون لم يتم القبض عليهم حتى الآن، ولكن يقال إن بعضهم قد يكونون عبروا الحدود ولقد وعد مدير الشرطة هندرسون أنه لن يهدأ له بال حتى يأتي بهؤلاء القتلة وهؤلاء اللصوص..."

موسى : من هم اللصوص؟

إنه هو اللص للمرة المليون.

ذلك المستغل!

ديوى : ما عساك الآن هل ستتركني أنتهى من القراءة أم ماذا؟

موسى : هيا، لك أن تستمر. استمر، إننى أستمع.

ديوى : "... إن مدير الشرطة هيندرسون قد وعد أنه لن يهدأ حتى يقوم تجاه هؤلاء القتلة، هؤلاء اللصوص..."

موسى : (يبصق بقرف) أحمق!

(ديوى ينظر إليه قليلاً متأذياً ثم يستمر فى القراءة)

ديوى : "... وهؤلاء اللصوص الذين لا يحترمون القانون..."

موسى : قانون المهيمنين!

قانون وأد الحق!

لماذا يُحترم!

تباً لهم! (يبصق ثانية)

(صمت)

وماذا بعد، استمر، تباً لهم!

ديوى : "...ويقبض عليهم ويتم إعدامهم كما يستحقون"

موسى : إنهم هم الذين يستحقون أكثر من الإعدام!

تباً لهم!

وماذا بعد؟!

ديوى : ها هي النهاية.

(صمت)

يا للمصيبة ! لقد ساءت الأمور الآن.

موسى : دعها تسوء يا ديوى دعها تسوء.

ألم تسمع كيف يقذفوننا؟

أهناك قتلة ولصوص أسوأ منهم؟

كم من الناس يشردونهم كل يوم بقانونهم الذى لا
يعرف الحق؟

هؤلاء الضباع!

(وهنا يمر عليهما بروية رجل عجوز يمينه عصاه
ويرتدى الرث من الثياب. ويلتفت إليه ديوى
وموسى ويلاحقانه بنظرهما)

العجوز : لماذا أيتها القارة الإفريقية

أيتها الأرض المتزينة بالسواد ياروح مولدنا
إننا نسمدك يوماً بعد يوم راجين أن نحصد منك
ثمار وحدتنا
أخبرينى-

لماذا مازلت أنت فى قلبى

لماذا مازلت أنت حبيبتي

فى ساعة الحزن هذه؟

وهذه المجاعة والفساد الذى أحاط بنا، أو لعنة
الآلهة التى حلت بنا؟

وهذا الغضب الداخلى الذى أكتمه.

أو ألم الضيق الذى لا نهاية له؟

إننى أسأل، لماذا؟

(يقف العجوز، يلتفت ناظراً إلى ديوى وموسى.

ثم يذهب وحال سبيله رويداً رويداً)

لماذا أيتها القارة الإفريقية

يا أمل الرجل الأسود

يا أصل حياتنا

يا من نشرت بذور الألوان فى الدنيا

فتوالدت عنها فى الحياة العشائر

أجيبينى...

لماذا مازلت تحرقين قلبي

بمحبة لا مثيل لها؟

لماذا مازلت حبيبتي

فى ساعة الحزن هذه؟

لماذا؟

(يخرج. صمت. ديوى وموسى ينظر كل منهما للآخر)

ديوى : إفريقيا ... أمل الرجل الأسود

أصل الرجل الأسود.

القارة التى مازالت مضطهدة من آل ديلامون.

القارة المذبوحة بفساد العنصرية

(يقف. ويقف معه موسى)

ليس هذا يا موسى! أخطأنا بالهروب من الوطن.

لابد أن نعود.

وبسرية لابد أن نبدأ إيقاظ رفقاءنا العمال.

وبسرية لابد من مواصلة عمل لانينا.

فلنرجع يا موسى! لنرجع للوطن.

موسى : (يقفز لديوى ويصافحه)

لقد قلت يا أخى الآن!

ها هى بداية البداية.

ها هو المولد الجديد فلنذهب يا أخى! فلنذهب...

(يخرجان مهرولين)

مشهد ١

(في المزرعة، في مكتب ديلا مون.

رئيس العمال يدور هنا وهناك
داخل مكتبه.

مساعداه الإفريقيان، زارى
وشندو، جالسان على المائدة. جميعهم
الثلاثة يبدو عليهم شديد الغضب
والقلق. على مائدتهم توجد أوراق
تحمل شكاوى العمال، وهاتفان.

خارج المكتب، العمال
المتظاهرون بسبب الاستغلال
والظلم الذى زاد فى المزرعة، يأتى
صوتهم مسموعاً بقوة وهم يغنون).

صوت العمال : أنا الذى كنت أعذب كالثور

وأصمت ولا أشتكى مثل الجبل لماذا...

تقع على عاتقى أعباء حياة الآخرين

وأغرق بأثقال العصر لماذا...
ثمار العرق الخارج من جسد
يصبح سمّاً مرّاً يميتني لماذا...
ها هي الأيادي المجروحة البناءة للأمة
فعلام تركي في الخلاء أنام على الأرض
لماذا يا ناس لماذا يا ناس
يا ناس... لقد تنبهت.

ديلامون : (بغضب)

ياللهشة! استمعوا لأصواتهم...
إنها تدخل الرعب في قلبي
وتتذر بنار الخطر
(ويذهب إلى زاري وشيندو وينفجر فيهما)
إنكما أخبرتماني أنكما تفهمان جيداً أصدقاءكم الأفارقة.
وعاهدتماني أن مثل هذه الحماقة لن تحدث.
استمعوا الآن! استمعوا لأصواتهم!

زاري : (وهو يرتعد) إنهم... إنهم...

إنهم أشخاص قليلون... إنهم فقط
قليلون يا سيد ديلامون. أظن...

ديلامون : (موبخاً زاري) هل هذه أصوات قلة؟

أما أنك فعلاً فقدت العقل!

زاري : أعنى... أعنى أنهم... أنهم قادتهم فقط. إنها لانينا
فقط... تلك المرأة الحمقاء... تلك...

ديلامون : امرأة؟ يعنى كل هذا الإضراب هو عمل امرأة.
امرأة واحدة فقط؟

وقد غلبتكم؟

فلم تستطيعوا تقويمها؟

يا للحماقة التي ارتكبتها فى توظيف دبية مثلكم!

صوت العمال : (يسمع مرة أخرى)

لماذا...

أقوم أنا بخدمة هذه الدنيا

وهي تكبلني وتستعبدني لماذا...

وأنا مخلوق أطعم المجتمع وأعيش في جوع لا
حدود له لماذا ...

وأنا الممدوح بتزيين الوطن أن تحرم عيناى النظر للجمال
لماذا... يا ناس

لماذا ... يا ناس

يا ناس... لقد تنبهت

ديلامون : (الآن ازداد خوفاً. يدور هنا وهناك بقلق أكبر)
كلماتهم!

إنها ليست بكلمات من يريد رفع المرتب فقط!

إنها ليست بكلمات من يريد تحسين الوضع من
العمل فحسب!

استمعتموها... استمعتموها جيداً؟!

(صمت. ديلامون يدور وهو يفكر بين الفينة والأخرى)

يا شيندو! اتصل هاتفياً بمدير الأمن هيندرسون.

أسرع! إن الأمور ستخرج من أيدينا

هيا. هؤلاء الناس ركبتهم أرواح أسلافهم اليوم!

شـينـدو : (يمسك بالهاتف بسرعة)

نعم يا سيد ديلامون. (يسقط منه الهاتف)

ياللتخلف! (يسب الهاتف، ويلتقطه مرة أخرى

بسرعة. يتصل. ينتظر قليلاً)

أهلاً! مدير الأمن هندرسون، مزرعة السيد ديلامون.

آه! أهلاً، هنا شيندو...

نعم ... السيد ديلامون يريد التحدث معك قليلاً.

نعم... أحسنت.

(ويعطى الهاتف لديلامون)

ديلـامـون : (محاولاً جعل نفسه إلى حد ما بشوشاً)

أهلاً! مدير الأمن... بخير تماماً...

ها! ها! ها!... لا، ليس بسبب هذا...

تلك القضية تمت إزالتها من المفتش الهندي

... من؟ ... نعم، إنه هو ...

(يستمع. يضحك قليلاً)

إننا اليوم فى أزمة من نوع آخر تماماً

آه... العمال لدينا قد أضربوا و...

(يستمع بتركيز)

لماذا لم نعرفك مبكراً؟ (صمت قليل)

آه! اعتقدنا أننا سنستطيع معالجة ذلك بأنفسنا، ولكن...

صوت العمال : أعد لى عرقى!

أعد لى دمي!

أعد لى حقى!

أعد لى إنسانيتى!

ديلامون : (يزداد قلقاً)

أت... أتسمع... أتسمع هؤلاء؟!

نعم... نعم... أسرع من فضلك

ماذا؟... قادتهم؟

وهو كذلك! وهو كذلك. سأفعل ذلك.

(يضع الهاتف، يخرج منديلاً من جيبه ويمسح عرقه، ثم بغضب)

عجباً أن يكون اليوم حاراً هكذا!

(ثم ينادى)

كيمبو! (صمت)

كيمبووو (بصوت مرتفع أكثر وكراهية)

كيمبو : (صوت من الخارج)

نعم سيدى (*)! قادم سيدى

ديلامون : (بتهمك)

قادم سيدى! قادم سيدى

(يتوجه إلى زارى وشيندو)

لماذا لا تبحثون عن خدم لهم عقول.

قرود حمقاء!

(يدخل رجل نحيف، وقصير وضعيف للغاية)

(*) يقولها بلغة إنجليزية مكسرة فيصححها له ديلامون (المترجم)

كيمبو : نعم سيدى...

ديلامون : آآآ صه!

(كيمبو يضطرب خوفاً)

اذهب ناديا... آآآ... آآآ...

(يلتفت ثانية إلى شيندو وزارى)

قلتم أن قادتهم من؟

زارى : إنها لانينا تلك المرأة...

شيندو : و... وترىكى.

ديلامون : ناديم! لانينا وترىكى.

هيا! أسرع! اجر!

(كيمبو يخرج من الحجرة بسرعة. ديلامون يخرج

غليونه. ويحاول إشعاله ولكنه لا يستطيع)

عليك اللعنة

(وينظر إلى زارى وشيندو)

إلامَ تنظرون؟ لا تعرفون الغليون!

(زاري وشيندو ينظر أحدهما إلى الآخر قليلاً ثم
ينظران إلى أسفل. ديلامون يعيد الغليون إلى جيبه)

صوت العمال : إننى أنا الخادم

ها أنذا بدأت أفرح

وها هو الزمن قد توقف...

إنهم يزغردون لى

فالآن أنا قادم

عابر للبحار، وعابر للغابات

وعابر للصحارى، وهازم للطوفان.

إنى قادم- أووو- إنى قادم

عابر للبحار، عابر للغابات

عابر للصحارى، هازم للطوفان.

إنى قادم- أووو- إنى قادم

وإننى فى الطريق- قادم لا محالة.

ديلامون : (يعود على كرسيه، ويجلس بلطف)

إيه! يا إلهى! أى بلاء هذا!

ظننت أنه فى هذا الوطن لن تواجهنا مثل هذه الشدائد.

ظننت أن أفارقة هذا الوطن مختلفون- وأن لهم
فكرهم المستقل- وأنهم لا ينساقون وراء هذه
الحماقات السياسية ولكن الآن انظروا...

ما قد هربت منه إلى هنا- وهو هذا العبث السياسى
للعمال- جاعنى يتبعنى هنا.

فماذا يحدث فى هذا العالم؟

ياللعجب!! إن العمال لم تعد لديهم قناعة!

وكانهم ركبتهم أرواح جديدة!

وكان طعامهم هو الأفكار الباطلة غير المفهومة!

إن مزارعنا دائماً ما يواجهها عدو هذه الأيام- ألا
وهى السياسة العبثية للعمال!

(الباب يقرع)

ديلامون : ادخل!

يدخل كيمبو وتليه امرأة هى لانيينا ورجل هو تريكي.

ديلامون يقف ويتبسم آ آ آ! لا نينا وترىكي،
أصدقائي، تفضلاً! تفضلاً!

(يذهب إليهما ويسلم بيده عليهما ويقودهما إلى
كرسيين قريباً من المائدة)

لقد سعدت للغاية أنكما قبلتما المجيء.

هذه هي الحكمة.

تفضلاً اجلسا، اجلسا هنا.

(يسحب لهما الكراسي. ينظر تريكي ولاتينا إلى
بعضهما البعض قليلاً باستغراب، ثم يجلسان.
ويعود ديلامون إلى كرسيه)

ديلامون : (يستمر).

كما قلت، لقد فرحت لمجيئكما.

الآن نستطيع التحدث

كأشخاص كبار، ونتفاهم...

آ آ... كيمبوو!

كيمبوو : نعم سيدي (يدخل)

ديلامون : هيا احضر لصديقى الشاى.

ستحبان الشاى...

لاتينا : لا، لا نريد الشاى.

تفضل و اشرح لنا ما دعوتنا من أجله، لننصرف.

(لاتينا وترىكى ينظر أحدهما للآخر قليلاً وبإشفاق)

ديلامون : أعتقد أن محادثتنا ستكون جيدة أكثر، ستكون حميمة أكثر، إذا شربنا الشاى سوياً.

تفضلاً ولا تكسرا بخاطرى!

لاتينا : (بقوة) لا نريد شاياً يا سيد ديلامون!

ديلامون : (يبدى الاستياء قليلاً).

وهو كذلك، لا شيء، وهو كذلك!

نعم... الآن يمكننا شرح شكاواكم.

(صمت فترة قصيرة)

ترىكى : كما قلنا فى الخطاب الذى أحضرناه لك، فإن شكاوانا كثيرة. أولها...

لاتينا : (تقاطع زميلها)

أولاً وقبل كل شيء، الشكاوى وقد وصلتكم،
ولذلك فلا أرى من داع لتكرارها ثانية هنا.
ثانياً، إننا لسنا وكلاء لعمال المزرعة هذه.
وأية مناقشات حول شكاوانا لا بد أن تدار من
الأشخاص الذين وكلناهم.

(ديلامون ينظر إلى زارى وشيندو بقلق)

لانيـا : (بغضب قليل)

ولكنكما أنتما قائداهم
أنتما اللذان حرصتماهم على الاضرابات هنا...
(يزداد غضباً)

أنتما البربريان اللذان... اللذان...

ديلامون : (بتوبيخ). زارى!!

(زارى يصمت. ديلامون وزارى ينظر أحدهما للآخر
قليلاً، ثم يلتفت ديلامون مرة أخرى إلى لانيـا وتريكي)
آ آ... رفيقاي ... آ آ آ... لقول الحق... في

الحقيقة... لا أفهم لماذا تجلبون لنا مثل هذه
المصاعب هنا.

أنا جئت على نفسي قادماً إلى هنا للمساعدة في تقدم
هذا البلد ولنفع الأقارعة مثلكم بتقديم عمل لكم - وهو
أساس مسيرة الحياة.

ولذلك فعليكم أن تجيئوا على أنفسكم قليلاً وتفهموا
إننا أتينا هنا لمصالحكم أنتم.

تريكى : : إن ما تقوله جيد يا سيد ديلامون
ونفهمه جيداً. ولكن... ولكن... كنا نريد...

لاينسا : (تنظر إلى تريكى بغضب)
كفاك تبريراً لكذبهم يا تريكى!
(وتلقت إلى ديلامون وزارى وشيندو)

لا! سيد ديلامون!
إنكم لم تأتوا هنا لمصالحنا ولم تأتوا هنا لتقدم بلدنا.
لقد أتيتم لمصالحكم ومكاسبكم أنتم.

أتيتم لتظلمونا فقط

لاستخدام قوتنا

لسلب أرضنا منا

لاستغلال بلدنا

مقابل ثمن بخس لا قيمة له.

صوت العمال : تعالوا إذاً، تعالوا ننظف الطرق.

ونخلع الأوتاد الجافة المدقوقة.

فإن الإمعات ومعهم الملوك قد انتهت اليوم أيامهم

أملنا هو جهودنا

أملنا هو ذواتنا

إن المختار من العصر هو بناء حياة جديدة تكون

هي الدائمة

(وفجأة يتحول صوت العمال إلى هدير وتحركات.

فينزعج تريكي ولانينا، ويقفان متجهان نحو الباب

بسرعة. ولكن قبل أن يصلا إلى الباب يدخل أربعة

جنود. وينقضوا على لانينا وتريكي ويكلبشونهما)

الجندي ١ : مقبوض عليكما بتهمة التحريض على الإضراب.

هل لديكما ما تقولانه قبل إرسالكما إلى الحجز؟

لانيـنا : لكننا نحاول الدفاع عن حقوقنا فقط مثل...

جندى ١ : (يصفع لانيـنا بالكف)

دعى حماقتك هذه!

حقوق! حقوق! تعتركين على شيء حتى لو حصلت

عليه لا تعرفين ما تفعلين به! إنك حمقاء!

(صمت. لانيـنا تلتف بهدوء وتتنظر إلى ديـلامون)

لانيـنا : ها هو الذى دعوتنا من أجله سيد ديـلامون؟

ها هي إرادة معرفة شكاوانا؟

ديـلامون : (بلطف، مبدئاً السرور قليلاً)

لانيـنا، اعتقدنا أنك شخصية بعيدة النظر نستطيع التفاهم معها وأن نتبادل سوياً المنافع.

لكن الحقيقة ظهرت، وها هي الطريقة الوحيدة الباقية للحفاظ على رأسمالنا وتطوير اقتصادنا.

أرجو ألا تعتریکم أية كراهية على أحداث اليوم.

(يتبسم قليلاً)

أيضا يؤسفنى القول أنكما مفصولان من العمل منذ
اليوم، وأولئك الآخرون سنضيفهم لنمكن أنفسنا من
تجنب مثل هذه الاضطرابات التى لا معنى لها.

(وينظر إلى الجنود)

أعتقد أنه يمكنكم الآن الذهاب بهم.

(لأننا ننظر إلى ديلامون للمرة الأخيرة، ثم، مع
تريكى، يتقادان إلى الخارج).

مشهد ٢

في مكتب الشرطة. شيندو
وأحد ضباط المباحث جالسان على
جانب من المنضدة.

وعلى جانبها الآخر يوجد
كرسي واحد.

شيندو : هناك خطة يريد السيد ديلامون أن يجربها.

وهي أنه كلما أظهرنا أن مزرعتنا تدار ديمقراطيًا،
وكلما أظهرنا أن العمال يطالبون بحقوقهم ديمقراطيًا-
حتى ولو مظهريًا- فإن العمال سيقون راضين.

وها هو ما يريده لسياستنا الجديدة.

ضابط المباحث : لكن لا أعلم لماذا السيد ديلامون يستمر في إزعاج
نفسه بهؤلاء الحمقى.

إن الناس العاطلين عن عمل لا حصر لهم.

فطالما أن هؤلاء العمال يأتون بالجهالة

فليطردوهم فقط، ثم يستأجر آخرين!

شـينـدو : حتى أنا أوافقك،

لكن السيد ديلامون يقول أن هذا إفساد للأمر.

يقول إنه من الأفضل الاستمرار بالعمال القدامى
بكياسة عن تأجير آخرين جدد.

آه! ها هي سياسات الهيمنة يا سيدى!

وأنا وأنت لا نستطيع فهمها جيداً،

المهم هو أننا سنستمر فى نفس مستوياتنا، وأنتم
الشرطة ستستثمرون بنفس مسئولياتكم، وأولئك العمال
سيزيدون من الجهد فى العمل وستقل الشكاوى!

أقول لك يا سيدى، إن الأوربي داهية للغاية

(يقرع الباب. يدخل جنديان واضعين تريكى بينهما.
يؤديان التحية. ويشير ضابط المباحث لهما لينصرفا)

ضابط المباحث : تفضل تريكى.

(يشير له إلى الكرسي الموجود أمامه. تريكى
يقترّب، ويجلس)

تتذكر السيد شيندو، أليس كذلك؟

(تريكى يومئ برأسه. شيندو يبتسم. ينهض
ويسلم باليد على تريكي)

إنه أتى هنا أولاً يطلب منك العفو، وثانياً ليشرح
لك الخطة التى ستجلب لك المنافع الكبرى فى
حياتك. فماذا تقول؟

(صمت)

تريكى : لا أستطيع أن أقول أى شىء قبل أن أسمع الخطة
(ضابط المباحث ينظر إلى شيندو وكأنه يخبره بأن يبدأ)

شيندو : نعم... أولاً لقد سعدت لرؤياك بعد يومين من
احتجازك دون أن يؤثر ذلك فيك كثيراً.

وعندى لك أيضاً أخبار سعيدة. لقد عاد جميع
زملائك إلى العمل.

أقول لك أن السيد ديلامون رجل حلیم للغاية.
فلو كان مثل الأثرياء الآخرين لما عاد منهم إلى
العمل إلا القليل.

لكن ديلامون هذا رجل إنسان حقاً حقاً!

فماذا تقول تريكى!

تريكى : لا أعرف ما هي المنافع التي ستعود على من كل هذا!

شـينـدو : آ آ آ ! نعم ! نعم !

هذا هو ما قد أتيت أنا من أجله - لأشرح لك دورك!

(يسلك حنجرتـه قليلاً)

الآن، ربما تعرف أن السيد ديلامون هو الرجل
الذى يحترمك للغاية.

(صمت. يتحنح قليلاً)

يعنى... سيكون دورك محل تقدير... و... و... وسينظر

إليك كأنك زعيم وصاحب... صاحب بصيرة للغاية

(يحرك رابطة عنقه قليلاً)

وها هو ما أحضرني الآن.

يعنى من الممكن أن تعاد إلى العمل، وتحصل على

زيادة جيدة فى المرتب إذا وافقت... (يتوقف)

تريكى : إذا وافقت على ماذا؟

شـينـدو : إنك تعلم، السيد ديلامون يريد البدء فى إقامة نقابة

للعمال يمكنهم استخدامها فى توضيح شكاواهم. والسيد

شو يرى أنك ستكون إنساناً جيداً لقيادة هذه النقابة.
(صمت)

تريكى : العمال سيريدون اختيار قياداتهم بأنفسهم.
شـينـدو : بدون أى شك سيوكلونك أنت، وآخرين مفضلين إليك.
فقد عهدوك قائداً لهم.

وما نريده منك الآن هو أنه عند وجود أية شكاوى
من العمال فلا يتوجهون بها إلا إليك وإلى من
ستختارهم أنت معك، وبعدها نناقشها سوياً - بلا
شوشرة ولا إضرابات. فإذا ما قمت بهذه القيادة
لزملائك العمال على هذا الوجه فإنك ستحصل
على المنافع الكبيرة فى العمل.

تريكى : وهؤلاء العمال كيف سينتفعون؟
شـينـدو : المراد هو زيادة دخل هذه المزرعة وزيادة دخلك
أنت من هذا - وليس زيادة دخل كل العاملين.
وإذا لم يتم ذلك فلا طائل لنا من الإتيان بك.
وعلى أية حال فإنهم لن يخسروا أى شىء فى الحالتين.

تريكى : ولانينا؟

شـينـدو : لانيـنا؟ إـن لانيـنا لـيـسـت صـاحـبـة أفـق.

سياسـتـها هـي التـحـريـض فـقـط.

لا نـسـتـطـيـع العـمـل مـع شـخـص مـن هـذا النـوع.

تريـكـي : وـلـكـن العـمـال يـحـبـونـها جـداً وـبـدون عـودـة لانيـنا إـلى العـمـل
فإن العـمـال لـن يـرـضـوا وـفـى النـهـايـة لـا بـد وأن يـثـوروا.

شـينـدو : رـبـما يـكـون هـذا الكـلام صـوابـاً.

سأـتـحدـث فـيـه مـع السـيـد دـيـلامـون وإـذا وافـق فإنـي
عـلى يقـيـن بأن رفـقـاءنا هـنا (ويشـير إـلى ضـابط
المـباحـث الـذي يـومئ بـرأسـه)

سيـسـاعـدونـنا مـرة أـخـرى.

لـذـلك أحـب الـآن مـعـرفـة ما إـذا كـانـت هـذه الخـطـط
توافـقك أنت أم لا.

تريـكـي : (بـعـد صـمـت قـصـير)

إـن هـذه لـيـسـت أمـوراً يـسـتـطـيـع الإـنـسـان أن يـبـت فـيـها بـسـرعة.
فأود مـزـيـداً مـن الـوقـت للتـفـكـير فـيـها.

شـينـدو : (مـظـهراً عـدم فرحـته مـن هـذه الإـجـابـة)

تريكي! إن هذه فرصة وكل عامل في الدنيا يحب
أن يحصل عليها، ويقتنصها.

اليوم أنت تحصل عليها دون أى عرق وترفضها!!

تريكى : لم أقل إننى رفضتها.

أريد مزيداً من الوقت فقط لأفكر فيها.

يعنى... لابد أن أتحدث مع قليل من رفقائى قبل
الوصول إلى قرار.

حقيقة هذه خطة تتفنى ولكن أيضاً لها خطرها.

فلو عرفها العمال يمكنهم حتى قتلنى.

(صمت)

ضابط المباحث : أظن ليس سيئاً أن نعطيه يومين أو ثلاثة.

(يلتفت إلى تريكى)

لكن لن تستطيع التحدث مع رفقائك،

يعنى لابد أن نضعك فى الحجز حتى نعلم جوابك.

إن حريتك تعتمد على جوابك.

شيندو : تريكي، لا تضيع هذه الفرصة.

فكر في حياتك.

فكر كيف تساعد نفسك وستساعد مجتمعتك.

قضى الأمر، سأعود غداً قادم للاستماع إلى جوابك؟

(تريكي يومئ برأسه، بعد صمت قصير)

حسن جداً.

سأعود غداً.

لكن تذكر أن إذا رفضت أنت، فإن السيد ديلامون
لن يستطيع مساعدتك ثانية.

وأى أمر يحدث لك على يد الشرطة (ناظراً إلى
ضابط المباحث) فليس لنا فيه دخل ولا نعرفه.

(صمت)

ضابط المباحث : تريكي، الآن سنعيدك إلى حجرتك تفكر ملياً فيما
قاله لك الأخ شيندو هنا.

ولا تبخل على نفسك برفض النعمة، وباستمرارك
فى الحجز مهموماً.

(يضرب المائدة بيده، يدخل جنديان - يؤديان التحية)

ضابط المباحث : هيا، السجين جاهز.

أعيداه لحجرتة.

وراعياه جيداً، لا تعذباه.

(يؤديان التحية. ويقف تريكي بروية ويمشي
الجنديان يأخذانه. وقبل أن يغادر يقف شيندو،
ويمد يد الصداقة إلى تريكي. التحية- يغادر
الجنديان وتريكي. صمت)

شيندو : الإفريقي أحمق للغاية.

هذا الأوربي يحاول مساعدته وهو عجباً يدعى أنه
يريد التفكير أولاً.

التفكير! التفكير! أى عقل لديه يفكر، ذلك الجاهلي!

ضابط المباحث : لا تتعجل الغضب دون مبرر يا سيد شيندو.

هؤلاء السجناء نحن أعلم بهم.

إذا قال أفكر فيعنى أنه وافق.

فأنت عد غداً فقط.

ليس عندي أدنى شك في أن الجواب سيكون إيجابياً.

شيندو : لكن أخاف من السيد ديلامون.

أن يظن أنى فشلت.

ويأتى ويرى أنى أفشلت الخطط.

ضابط المباحث : (ضاحكاً)

حقاً الأوربى رجل العجائب.

لقد ملأنا خوفاً إلى هذا الحد!

(يضحك بقوة أكثر) لكن لا تكثرث يا رفيقي.

سأتصل به هاتفياً أشرح له جيلة حماقة الإفريقية
هذه... وخاصة للسجناء فلا تهتم.

(شيندو يبتسم. ويسلم باليد على ضابط المباحث)

شيندو : شكراً أخي. شكراً.

هذا هو التعاون الذى نبتغيه.

(يضحك وهنا يقفان. ويخرجان)

مشهد ٣

فى مكتب الشرطة. لانينا
جالسة فى ناحية من المائدة فى
مواجهة اثنين من ضباط المباحث.
هذان الضابطان يقلبان أوراقاً
موجودة أمامهما.

ضابط المباحث ١ : لانينا، هذه هى المرة الثانية التى تأتى فيها هنا
بنفس الشكوى- يعنى التحريض على
الإضرابات- الأولى فى مزرعة السيد رودمان
والحالية فى هذه المزرعة للسيد ديلامون.

(يقلب ثانية الأوراق. يخرج علبة سجائر من
جيبه. يخرج منها سيجارة واحدة ويمسك بها
بين أصابعه).

عندما تم إحضارك هنا المرة الأولى لم نسعد بإجابتك.

أظهرت أنك لم تفضلى التعاون معنا.

(يخرج الكبريت. ويشعل السيجارة)

لكنى أتمنى هذه المرة، أن تكون هذه الأسابيع
القليلة التى قضيت إياها فى الحجز، قد ألانئك
قليلاً وأنتك لن تزعجينا.

(يأخذ نفساً آخر من السيجارة. وينفث الدخان بقوة)
نعم... هيا نبدأ بالسؤال السهل - ما هدفك بالتحديد
فى التحريض على هذه الإضرابات؟ فى هذه
المخالفة؟ (صمت)

لائينا، إنى أتحدث معك!

لائينا : الإضراب الذى وقع ما كان إضرابى ...

وإنما إضراب جميع العمال فى هذه المزرعة.
ثانياً، لا أعرف لماذا إضرابنا يسمى مخالفة،
حيث لا أظن أنه يتعارض وقوانين هذا البلد.
فإذا حدث عدم تفهم...

ضابط المباحث ٢ : إن قوانين هذا البلد لم توضع لأشخاص مثلكم لا يحترمونها.
أم أنكم تظنون أن هذه الحكومة مجنونة وتعطيكم
حرية فرض ما تريدونه عليها؟

لائبنا : ظننت أننا أيضاً جزء من الحكومة وأن هناك من
يوكلوننا لنشارك أيضاً فى تسيير الحكومة.
فكيف إذا تفصلوننا عن هذه الحكومة؟
لماذا...!

الضابط ٢ : لا ! لا ! لا ! قد أخطأت لائبنا !
لسنا نحن الذين نفصلكم عن الحكومة بل أنتم أنفسكم.
فكيف يمكنكم التآمر على الحكومة ثم تدعون أنكم
شئ واحد معها؟ كيف؟

لائبنا : يعنى...
الضابط ١ : أم أنكم تظنون إن هذه الحكومة ستستطيع
الاستمرار فى تحمل خيانتكم إلى الأبد؟
إنكم كالحمير لا تعرفون الفضل!

(ينهض من على الكرسي ويبدأ فى الدوران
حول المائدة ذاهباً للوقوف خلف لائبنا)

لائبنا : لا أفهم كيف يمكن للمطالبة بحقوقنا فى مزرعة
ديلامون أن تساوى التآمر على الحكومة.

اللهم إلا إذا كنتم تحاولون إخباري بأن ديلا مون هو حكومتنا.

(الضابط ١ يضع بأصابعه على أكتاف لائينا ويضغط عليها بكل قواه. لائينا تبكي صارخة من الآلام وتحاول أن تخلص نفسها فيتركها الضابط)

الضابط ١ : (يبتسم)

الآن هيا نحاول أن نتعاون أكثر لائينا.

لا داع لإيذاء نفسك عبثاً.

إنك امرأة جميلة،

(ويمسك لائينا من ذقنها ويرفع وجهها إلى أعلى قليلاً)

وليس هناك من داع لتسويئ نفسك عبثاً.

(ويرفع يده من على ذقن لائينا)

الضابط ٢ : زميلي السيد هاتيل رجل غاضب للغاية.

من الأفضل الاستماع إلى نصيحته نفذى ما يريد. (صمت)

نعم... فلنرجع الآن إلى سؤالنا.

ما هو هدفك الخاص من التحريض على هذه الإضرابات؟

(صمت. لائينا تفاجأ بضربة كف تحدث فى
الخلف أوشكت على إسقاطها)

الضابط ١ : أيتها السيدة الكبيرة. هل ستجيبين أم أنك تريدين
الإحتكاك معي؟

لائينا : إنه وكما قلت أولاً هدفنا هو المطالبة بحقوقنا
العمالية فقط- زيادة المرتب...

الضابط ١ : إن أغانيكم ما كانت لزيادة المرتب، إنها كانت
أغاني سياسية لائينا.

أم أنك تعتقدين أننا أغبياء لا نستطيع فهم هذه الأمور!
(يضع يده على أكتاف لائينا، ورويداً رويداً
يرسل يديه على خدودها)

لائينا : أغانينا كانت تظهر الظلم فقط الواقع علينا من ديالمون.
الظلم...

(الضابط ١ فجأة يشد آذان لائينا بقوة. لائينا تصرخ
من الآلام وهنا تمسك بأذنيها؛ وتنهض فجأة متجهة
إلى الضابط ١، والزفير يسبقها والعيون جاحظة).

الضابط ١ : آ- ها ! غضبت لانينا ! حسن جداً!

الآن أعتقد أنك ستتعاونين معنا!

غضبك دليل على أنك مستعدة للتعاون معنا.

(صمت. ينظر كل منهما للآخر. لانينا تلتفت
بهدهوء وتجلس على كرسيها)

الضابط ٢ : لانينا، لا تتحدثي معنا عن الظلم.

أنت ونحن، جميعاً سكان هذا البلد.

نعرف الفوائد التي نحصل عليها من هؤلاء العنصريين.

أنت اليوم في عمل كهذا أليس هو من ديلا مون؟

ألا ترين أن هؤلاء الأجانب يفيدوننا نحن؟

(صمت)

ربما ذلك الذي تقولينه حق.

لعله حق أنه لا يدفع لكم مثلما تستحقون.

لكن أيضاً لابد أن تتذكرى أن المحتاج عبد.

(صمت. الضابط ١ يخرج سيجارة. يشعلها.

يدخنها. يحجز الدخان فى الرئتين مدة قصيرة،
ويطلقه على رأس لانيانا)

الضابط ٢ : ما قولك لانيانا؟

ما رؤيتك لأفكارى؟ (صمت)

تحدثنى فقط لا تخافى.

السيد هاتىلا سيمنع نفسه هذه المرة أم ماذا يا سيد هاتىلا؟

الضابط ١ : (ضاحكاً بتهكم)

أنت تعرف أننى لا أحب إيذاء امرأة جميلة مثل هذه.

إنه الغضب فقط، الذى يعترينى من وقت لآخر.

الضابط ٢ : (يلتفت ثانية إلى لانيانا)

أترين، ليس هناك من داع للخوف. (صمت)

لانيانا! لا ترهقينى!

لانيانا : جميعاً... جميعاً نعلم... أن ديلامون وأمثاله لم

يأتوا هنا لينفَعونا نحن، بل أتوا لنهب بلدنا

واستغلال قِوانا بأبْخس الأسعار، أسعار دنيا

للغاية، لصالحهم هم.

فحصولنا نحن على عمل أو فقداننا للعمل، وكون
بلادنا يستفيد أم يخسر فكلها أمور لا تهمهم هم.
بلادنا كمخازن للبضائع تزودهم.

إنها كالخزائن في توسيع رأسمالهم في العالم وفي
استمرارهم في نهب أرضنا، ونحن كالعبيد فقط
نعمل لإثرائهم.

واليوم لو اكتشفوا طرقاً أخرى أفضل في تفليس
أوطاننا دون أن نحصل نحن حتى على فلس
واحد لاتبعوها حتى ولو كان في ذلك موت لنا!

الضابط ٢ : حقاً أن الاستغلال موجود لانينا ولكن كما
أخبرتكم... المحتاج عبد. عبد.

لايننا : هم محتاجون أكثر منا.
إنهم في حاجة أكثر إلى توسيع استغلالهم.

يحتاجون الاستغلال والظلم لإخوانهم من البشر
لحياة هيمنتهم أكثر من احتياجنا نحن لعملهم.

انظر إلى المواطنين الآخرين الذين يعملون في
مزارع صغيرة، هل يموتون جوعاً؟

هل لا يأكلون؟ ولا يشربون؟ لا! سيادة الضابط!

إذا كان المحتاج عبداً لكان ديلا مون اليوم هو عبدنا.
ولكن الأمور عكس ذلك!

ديلا مون هو السيد ونحن أنفسنا العبيد في
أوطاننا!... لا! إذا كان ولا بد من استغلالنا
فالأفضل أن يكون استغلالنا نظير دخل أفضل.

الضابط ١ : (مطلقاً يديه في الهواء بسرور)

آآآ! ها هو الأمر فقط لانيانا؟

دخل أفضل؟

لماذا لم تخبرينا ذلك طوال هذا الوقت!

(يطلق يديه على كتفها ويبدأ في تلمسها)

من السهل لنا أن نفعل لك ذلك.

(ويواصل تلمسها من رقبته. لانيانا تقفز بغضب
وتواجه الضابط ١)

لانيانا : لو سمحت لا تفعل معي هذه التحرشات! فأنا
لست عاهرة!

الضابط ١ : (بغضب) تحرشات؟ أنت تسميني أنا بالمتحرش؟!

(يلطمها بالكف. لانيانا تدفع الكف لكن قوته

تطرحها أرضاً. الضابط ١ يعتليها ويحاول ضربها
والضغط على رقبتها. الضابط ٢ يهرول إلى
زميله ويمنعه)

الضابط ٢ : اتركها هاتيلاً ! دع غضبك سيدى.

(الضابط ١ يقاوم الامتناع عنها، لكن الضابط ٢
يمنعه بقوة)

الضابط ١ : اتركنى بوندا، اتركنى!

ليس هناك من امرأة أهانتنى هكذا.

أنا متحرش!

هذه العاهرة سأريها اليوم!

(لأينا تنهض بنفسها. تقف هائلة فى مواجهة الضابط ١)

الضابط ١ : أى امرأة هذه؟ تلك التى تترك زوجها وأطفالها
فى البيت وتتسكع مع رجال آخرين، عجباً
يطالبون بحقوقهم.

أى حق؟ ربما حق الدعارة! ربما...

الضابط ٢ : هاتيلاً! إنك تفسد على عملى!

(الضابط ١ يشتاط غضباً، وينظر إلى لانيينا، ثم يلتف فجأة ويخرج مهرولاً. الضابط ٢ يعود إلى مقعده، ولانيينا تسحب مقعدها، وتجلس)
(صمت)

الضابط ٢ : الآن لانيينا. كما قال هاتيل.

الدخل الأفضل يمكننا أن نتصرف لك فيه، أن نحصل على زيادة جيدة للغاية.
فماذا تقولين؟

وحتى تستطيعين الحصول على درجة ما!

(صمت) لانيينا؟ كيف؟

لانيينا : وماذا عن العمال زملائي؟

أى تصرف وضعته لهم؟

الضابط ٢ : لا يمكننا عمل نظام لكل فرد هذه دنيا كل فرد ونفسه فأنت عندك أسرتك فى البيت تحتاج مساعدتك.

الضابط ٢ : من السيد ديلامون بلا شك.

السيد ديلامون شخص عطوف جداً.

وهو على استعداد...

لاينا : (أدارت وجهها بكراهية)

لا يمكن! تريكي لا يمكنه أن يذهب بنا إلى الخلف!

الضابط ٢ : (ضاحكاً)

لقد أخبرتك. أنك لست ماهرة مثل تريكي.

هذه هي ! إنها حماقتك الخاصة بك.

أنت المحتاجة، والآن أراك تضيعين فرصة جيدة
في حياتك.

(صمت. لاينا تضع يديها على المائدة وتغطي
وجهها بكفيها)

إننا سنتركك تذهبين وشأنك.

ولكن قبل أن تذهبي، فمن الأفضل أن أعطيك
وصية وأبينها لك بوضوح.

(لاينا ترفع الوجه وتنظر إلى الضابط ٢)

إن العنصريين من أمثال ديلامون هم الذين يساعدون في توصيل هذه الحكومة. ولذلك فإن حياتك ونهايتها في أيديهم. فالآن سنتركك بسبب أن هذا هو ما يفضلُه السيد ديلامون فقط.

ولذلك فاعلمي أن العنصريين من أمثال هؤلاء إذا سئِموا من تحريضك فإن هذا سيكون نهايتك.

(لأننا تستمر في النظر إلى الضابط وكأنها أصيبت بالبلاهة. ومن على بعد تسمع صوتاً)

الصوت : استمعوا إلى العويل المنتشر بالحزن مبشراً وبالخطر محيطاً بنا وبالمرض متكاثراً انظروا إلى المدن الذليلة بفضلات الهيمنة والذل المعمول فيها من التيس الظالم فيها.

انظروا إلى الزمن ينحرف مثل النهر الهائج وفي النهاية يجرفنا كأمواج البحر.

(لأننا تقف بهدوء. وتدور متجهة إلى الباب. وتقشعر وكأن برداً أصابها. وتخرج بتؤدة من المكتب. وينظر إليها الضابط ٢ وهي تخرج، وهناك يهز رأسه)

مشهد ٤

داخل حجرة صغيرة- هناك
كنبة صغيرة متهالكة، منضدة
صغيرة وكرسیان وسط الحجرة.
وبركن الحجرة هناك أوانى طهى
قليلة وأطباق.

موينجو، زوج لانيئا، جالس
على الكنبه، يدخن سيجارة. يبدو
قلقاً للغاية. فجأة يدق الباب.
موينجو يقفز من على الكنبه ويمجرى
على الباب، ويفتحة. لانيئا وهى
مقشعة تدخل.

موينجو : لانيئا! لانيئا!

هل تعلمين كم يوماً الآن تركتني بلا نوم؟
هل تعلمين كم يوماً الآن والأطفال يأكلون طعاماً نيئاً؟
أنت! أنت ...

لانيـنا : هيا موينجو اهدأ قليلاً أولاً من فضلك.

ستوقظ الأطفال. اهدأ لنستطيع...

موينجو : أهدأ! أنا أهدأ!

أنت يا امرأة هل جننت أنت!

أنت لست بخير أنت!

تركنتى كل هذه الأسابيع فى قلق ثم... ثم ...
تقولين لى أن أهدأ.

هل تعتقديننى حجراً... لا أشعر!

(صمت. لانيـنا تذهب تجلس على الكنبه. موينجو
يدور هنا وهناك يزمرجر. ثم، بنفس الغضب، يستمر)

لانيـنا استمعى أخبرك.

هذه هى المرة الثانية الآن التى يتم فيها القبض
عليك من الشرطة، لأسباب غير مفهومة.

أجل... أسباب غير مفهومة.

أنا لا أستطيع ثانية تحمل هذه الأمور.

أرى أنك لا تحتاجين إلى زوج ولا أطفال.

(صمت. لائينا تأخذ علبة السجائر من على المنضدة. تخرج واحدة وتبدأ فى إشعالها. موينجو، بغضب، يسحب السيارة من فم لائينا.)

لا تغلقى شفتيك عني بهذه الطريقة.

إننى زوجك، أم ماذا! هل نسيت؟

لماذا لا تجيبينى؟

لماذا تستخفين بى هكذا؟

لائينا : (بهدوء) موينجو، هيا استمع من فضلك...

موينجو : لا تأتى لى أنا بكلمة (من فضلك)

(أحد الأطفال يدخل الحجرة يدعك عينيه، ويراهما ثم يجرى صوب والدته، لائينا، ويحتضنها ويبكى)

لائينا : (بحزن، تربت على طفلها)

لا عليك ديدا ابنتى.

لقد عدت الآن. وسوف أ...

موينجوو : (بغضب أيضاً)

انظري! انظري كيف يقاسى الأطفال.

انظري دموعهم ومتاعبهم!

ثم وللعجب تسمين نفسك أمهم.

وبجلال الله فإنك... أنت...

لايننا : (وهي تواصل الترييت على رأس ديدا)

موينجوو، لو سمحت اكظم غيظك!

أنا لا يمكننى التحدث وأنت على هذا الحال.

غضبك لن يساعدنا فى شيء.

موينجوو : (مازال غاضباً)

هيا! هيا لقد هدأت!

هيا! قولى ما عندك

تحدثي إذا؛ تحدثي وأنا استمع! تحدثي!

لايننا : لم يذهب غيظك بعد موينجوو؛ هيا اجلس قليلاً من فضلك.

انتظر حتى أعيد ديدا إلى السرير.

(وتلتف إلى ديدا) فلنذهب لننام ماما إيه!

(وتومئ ديدا برأسها. لانيانا تمسكها بيدها
ويخرجان ويبقى موينجو بمفرده. يجلس على
الكنبة واضعاً رأسه بين يديه. ثم ينهض فجأة
ويبدأ فى الدوران قائلاً بمفرده.)

موينجو : لم أعد أفهم لانيانا.

كلما مر الوقت تزداد تغييراً.

أراها... أراها أصبحت بعيدة، غريبة على الإنسان،
لم تعد تكثر بالأجداد، ولا تذكر العشائر وليس لها
من حاجة، بالزوج والأولاد.

وكان... هم سيلوثون هدفها ومرادها.

فأصبحت مثل أميرة التغييرات، لا تعترف بملة،
ولا تكثر بعرف، إنها عندنا كالمسافرة، وهى لهم
مقيمة لانيانا أصبحت...

ليس لها من التزامات إلا التفكير لم أعد أفهمها ! لا
أفهم زوجتى!

(لانيانا تدخل. تذهب للكنبة وتجلس. وتفرد نفسها قليلاً
بعناء. وتخرج ثاية سيجارة وتشعلها. موينجو يأخذ
كرسيا من حول المنضدة. ويضعه أمام لانيانا، ويجلس)

موينجو : (بهذوء الآن). لانيينا... هذا الذى تفعلينه...

(يتوقف. ينظر إلى وجه لانيينا بقلق)

لانيينا! ياللدهوة... عذوبك هناك!

انظرى إلى وجهك (يتحسس وجهها)

آه ! لانيينا! معذرة ...

ل... ل... حماقتى حتى غاب عنى الإحساس أن
أسألك الحال والتعذيب هناك.

(يذهب حيث تجلس لانيينا ويحتضنها)

لانيينا : موينجو ! ضربونى قليلاً فقط ولم أتألم جداً والأكثر
هو الإجهاد فقط.

وكنيت لا أنام للتفكير فيكم

موينجو : (يترك لانيينا)

إذا... إذا لماذا تدخلين نفسك فى هذه الشدائد؟

لانيينا، لماذا تدخلينا فى مثل هذه الشدائد؟

لانيينا : موينجو، تحدثنا فى هذا مرات عديدة.

أنت عامل مثلى.

إنك تعلم متاعبنا وما نحن فيه من ظلم.

ولإنهاء هذه الأوضاع لابد من النضال لاكتساب حقوقنا؛ لابد أن نكون أصحاب موقف ثابت.

موينجو : لكن ماذا عنا لانيئا، أنا زوجك، وأطفالك؟

ألا ترين أنك تقذفين بنا بسبب موقفك هذا؟

وقد رميت بتقاليدنا هذه الأيام... أنا... أنا زوجك أصبحت مثل ... مثل ... آه... مثل من لم يعد زوجاً لك...

لانيئا : (تتعجب) مثل من لم يعد زوجي!

ماذا تعنى موينجو؟

موينجو : (يقف ويبدأ ثانية فى الدوران)

آه، إذا دعينا نترك هذا.

لانيئا : (تترك الكنبه فجأة وتذهب تقف أمام موينجو)

لا! أخبرنى! طالما ذكرتها، فمن الأفضل أن تخبرنى!

(صمت)

موينجو : (ناظرا أسفل). لانيينا، تعلمين...
هذه الأيام... أراك تتأخرين في العودة إلى المنزل...
فأنا الطاهى فى بعض الأيام... وأنا الحاضن للأطفال...

لانيينا : (بروية أكثر)

وهل ترى أنه من الخطأ موينجو؟
أن تقوم أنت برعاية أطفالك؟
وأن تطهى لأسرتك؟

موينجو : يعنى ... يعنى... ليس... ليست ثقافتنا!

(لانيينا تلتفت فجأة وتعطى موينجو ظهرها)

لانيينا : (بغضب) ثقافة! ثقافة!

ما هى ماهية الثقافة موينجو!

لماذا نكون عبيداً لثقافتنا!

(وتلتفت ثانية إلى موينجو)

موينجو... ألسنا نحن الذين صنعنا الثقافة؟

ألسنا نحن الذين أحيينا الثقافة ... حياة تحنو علينا؟

إذا لماذا نترك الثقافة تقيد فكرنا بالاستيلاء عليه
وتحول بيننا وبين فطرتنا في التدبر؟

لماذا موينجو! ... فهل نستمر في اتباع ثقافة تبين
خطؤها يقينا؟

(صمت)

(تعود إلى الكنية، وتجلس. وتخرج سيجارة أخرى
وتشعلها وتدخنها بشراهة وتخرج الدخان الكثيف
وهي تنظر إليه كيف يصعد في الهواء. ويذهب
موينجو يجلس على كرسي قريب من المنضدة.
صمت لمدة. ويستمر موينجو في النظر إلى لانينا)

موينجو : لكن لانينا... هذا هو ما عليه الأمور.

فلا بد أن نرتضيها...

لانينا : لا ! لا موينجو!

الآن استيقظ شوقي في اتباع الحقيقة المخفية ولن
أرتاح حتى أصل... وعندها يكون الارتضاء!

(تقف وتدور وتعطي موينجو ظهرها)

لن أتركها، قطعاً لن أترك الثقافة تتغص حقيقة
حياتي وحقيقة إنسانيتي!

موينجو : (ناظراً أسفل).

إذا... سيكون... من الصعب... السير... في
العيش سوياً على هذا النحو لانيينا!

لانيينا : (تلتف فجأة وتتجه إلى موينجو)

يعني لم تعد تريدني زوجة لك موينجو؟
أسئمت مني؟

لا تستطيع أن تقبل حقوق إنسانيتي؟

موينجو : آ- آ، ليس... ليس هذا لانيينا.

لا... لا تحملها هذا المحمل.

لكنك تعرفين... أن الناس يقولون أموراً كثيرة...

لانيينا : وأنت تستمع لكلمات الناس موينجو؟

أجل، الناس يقولون الكثير.

الناس يقولون إنني عاهرة لأنني أتعاون مع زملائي

العمال من الرجال!

وأنت أيضاً تعتقد إننى عاهرة موينجو؟

(صمت. موينجو يقف ويذهب إلى لانيانا. ويمسك بيدها)

موينجو : تعلمين... ليس كذلك لانيانا!

(صمت قليل)

أرى أن حياتنا تغيرت فقط هذه الأيام.

لانيانا، دائماً أراك حزينة.

قليلاً جداً ما تضحكين.

حتى إنك ما تتحدثين هذه الأيام

لماذا لا تتركي نفسك أن تكون حرة، وتكون لها

أوقات سعادة وشوق؟

(لانيانا تضحك قليلاً)

لو سمحت لا تضحكى منى!

فهذه بالنسبة لى أمور مهمة وهذه هى...

(تترك نفسها من أيدى موينجو)

لاتينا : حاشا موينجو! لم أضحك منك أنت.

أضحك من نفسي أنا فقط.

أضحك من نفسي... لأنى أعلم جيداً

إننى لم أعود بعد على هذه الحياة المريحة المليئة
بالأغاني والرقص. (تتوقف قليلاً)

أنا أعلم أننى لم أعود بعد على هذه الحياة من
الفرح والطرب للنفس صباح مساء

باتباع نغمات موسيقى الأغاني كل يوم... غارقة
فى تسالى الحياة.

فها أنذا أصبحت مسكينة، موينجو... فقيرة ألفاظ
السعادة والسلام سلام المحبة والدين، ألفاظ تضييع
حقوق الإنسان الخاصة بالحياة فى الدنيا.

أنا أعلم جيداً، موينجو... أن كلماتى هى فقط
كلمات الآلام والمشاق.

ولهذا فإنى أفضل هذا السلوك... عدم التلطف بأفكارى

(موينجو يذهب ثانية إلى لاتينا، ويمسك بيدها)

موينجو : لا أفهم ماذا قلت لى لانيينا!

يعنى لا أتوقع ثانية أن حياتنا تكون سعيدة وشيقة؟

لانيينا : (تهزأ رأسها) لا موينجو ! لا تفكر هكذا.

إنه الآن فقط... إننى أرى نفسى فى صراع مع
نفسى، صراع الداخل مع الداخل.
فبرجاء التحمل.

وحاول أن تفهمنى أكثر.

نحن جميعاً عمال... الأعمال التى تتطلب القوة
البدنية، وأمامنا تحديات كثيرة تواجهنا.

ولذلك فلا بد أن نتفاهم، موينجو، وأن نتعاون ولا بد أن
ننتصر على اختلافاتنا المنزلية لصالح هذه التحديات.

(صمت. موينجو يحتضن لانيينا. ويستمران فى
الاحتضان لفترة)

موينجو : وهو كذلك لانيينا.

لا أفهم الكثير مما تقولين... لكن سأحاول.
جميعاً سنحاول.

(صمت. يترك احتضان لائينا ويمسك بيدها)

الآن دعينا لو سمحت ننام قليلاً.

إنك تحتاجين إلى الراحة جدًّا.

(لائينا تومئ برأسها. يتماسكان بالأيدى، ويغادران
سويا)

مشهد ٥

(في القرية.

في الكوخ، منزل والدي لانينا.
الأب جالس على لوح خشبي صغير،
يضع التبغ ويشم مسحوقه في الزجاجاة
(في الجوزة) والأم جالسة جلسة
القرفصاء بالقرب من وعاء تخلط
الطعام).

الأب : إن شباب هذه الأيام! هيبويه- هيبويه!

وخاصة الشابات... إنهن تخطين كل الحدود.

بعضهن يردن أن يكن أوريبيات والأخريات يردن أن
يكن رجالاً.

هيبويه- هيبويه! يا ويلهن، اللاتي يرمين بتقاليدهن!

الأم : آ آ آ إيه! سيدي تلعن ابنتك بهذه الطريقة!

الأب : من ذا الذي تحدث عن أحوال لانينا هنا!

إننى ذكرت شباب هذه الأيام.

فهل هى شابة هذه الأيام بمفردها؟

وحتى وإن كانت ابنتك، فلماذا لا ألعنها.

هل نقاليدنا لم تعلمنا أن كل ما هو سيء يلعن؛ أم ليس كذلك؟

الأم

: لكن لسنا على يقين أن لانينا تغيرت.

إنها شائعات الناس فقط.

وأفواه العباد لا يتعبها الكلام، وكل حسن توجه إليه العلل!

الأب

: إن الأمطار دليلها السحب. أليس كذلك؟

والعجب أن كل تلك الأيام التى كانت فيها لانينا هنا معنا، ما رأينا عنها هذا النوع من الشائعات؟

هل لأن أفواه الناس هذه امتلكوها أمس وأول أمس، أخبرينى! هل أعطوا إياها أمس وأول أمس فقط؟

الأم

: لكن لانينا ابنتنا....

الأب

: ابنتك! قولى ابنتك!

(صمت)

(يدخن تبغه قليلاً من الأنف. يعطس)

الأم : لانينا الآن تعمل فى الحضر، فالناس لابد أن يحسدوها
يحاولون إلصاق التهم المختلفة بها وفاقد الحسن لا
يكف عن الإساءة.

لكن الله سيدافع عنها! (تقف . ترفع يديها إلى أعلى)
إلهى ! ابنتنا يا إلهى ...

الأب : (يقاطعها)

ابنتك ك ك! أخبرك أن تقولى ابنتك ك ك! أم أنك
أصبحت صماء هذه الأيام؟

(يدخن التبغ ثانية. ويعطس)

الأم : (تعود إلى دعائها) يا إلهى!

لانينا شابة صغيرة فاللهم احفظها من عين الحسود...

(فجأة لانينا تدخل وفى يدها حقيبة ملابس صغيرة.
الأم تصمت. وتخفض يديها رويداً رويداً. الأب يقف
رويداً رويداً متجهاً حيث تقف لانينا)

لاينسا : تحية تقدير لك يا أبتى!

تحية تقدير لك يا أمى!

(الأم تنهمر فى البكاء، تجرى إلى لائينا وتحتضنها
وتهدأ رويداً)

الأم : لائينا ابنتى ! آ آ آ آ آ ه بنتى!

أى قلق ذلك الذى جاءنا منك.

تعال! تعال اجلسى هنا

(لائينا مندهشة. هى ووالدها ينظر كل منهما للآخر)

لاينسا : أبتى، عجباً...

الأب : أبتى؟ ماذا قلت؟ أنا والدك؟

أنا لم أنجب عاهرة!

لاينسا : (بتعجب) أبى! ...

الأب : قلت لك لاتنادينى أباً، ألا تسمعين؟

أجل! أنا لم أنجب عاهرة! ولم أنجب أولاداً خائنين!

أجل! لم أنجب أى بنت يمكنها خيانة بلدها.

لم أنجب بنتاً تريد الذكورة !

هيبه- هيه ! أنا الرجل الهمام^(*) (Seromanga)

أنا ! أنا أنجب امرأة مذكرة !

هيبه- هيه ! ربما شخص آخر؛ ليس أنا !

لأينا : لكن أبتي ...

الأب : قلت لك توقى عن ندائى بأبى!

لماذا أنت عنيدة إلى هذا الحد أيتها الفتاة!

(يلتفت إلى الأم وقد زادت حدته)

ألم أخبرك أنا!

أن ابنتك عنيدة، عاصية !

كم مرة هذه أخبرها ألا تسمينى أبا، ولا تستجيب!

الأم : أليست سيدى تحاول هى أن تتعرف على أحوالك فقط؟

^(*) هذا الاسم يطلق عند بعض القبائل الإفريقية على الشخص الذي يعتبرونه من قدامى

المحاربين، ومن هنا يحق لنا أن نترجمه

بـ (الرجل الهمام) المترجم.

الأب : تتعرف على أحوالى؟

تتعرف على أحوالى، فهل هى تعرفنى؟

إنها حمارة فقط لا تعرف الفضل!

الأم : لكن سيدى...

الأب : يا للضيّق ! يا لغيظ استخدام كلمة (لكن) هذه فقد زادت

عن الحد الآن !

كل شىء "لكن" كل شىء "لكن" !

(مشيراً إلى الأم بإصبعه)

يا للويل ! تأدبوا.

إننى أنا أسد هذا البيت.

عندما أزار لا أريد أن أسمع كلمة "لكن" هذه الغبية هنا.

(يلتف إلى لانيانا) وأنت يا ابنة الشيطان !

أنا لست كالرجال الآخرين الذين تلعبين بهم.

فأنا لست من آل موينجو.

إننى الشجاع الجسور حقاً حقاً.

هل استمعت لهذا!

(صمت) (ينظر ثانية إلى الأم)

هيا، طفلتك قد وصلت الآن.

اجلسي وعلميها الأدب والاحترام!

علميها معنى الأثوثة!

وأن توقف ذكورتها. هل سمعت هذا!

(الأم تومئ برأسها وتمسح دموعها بثيابها. ويلتفت
الأب بغضب. ويحمل جوزته وتبغه ومقعده الخشبي
ويخرج بجلبة. صمت. والأم تمسك بيد لانيينا وتذهب
بها إلى الحصيرة)

الأم : تعال ابنتي! تعال أيتها المسكينة واجلسي هنا!

(لانيينا تتبعها. تجلسان على الحصيرة)

آه لانيينا ابنتي. النحافة التي أنت عليها، والعيون
الجاحظة والجلد المنخوذ، فلم يبق منك إلا العظم!

لانيينا، متى هذه المعاناة تتخطاك ابنتي!

(لانيينا تتبسم قليلاً. تحتضن أمها ثانية. صمت. الأم تقف)

الأم : انتظري أتى لك بطعام أولاً.

لاينا : آ آ أمي. لا أشعر بالجوع حالياً.

تعال لو سمحت واجلسي نتحدث.

الأم : (تستمر في المشي تحضر لها طعاماً)

ها- آ هذه الكلمات لا أريدها.

كلي فأنت لست ملاكاً، كلي فقد نحفت كثيراً!!

(تغرف الطعام، تأتي بلاينا)

هيا كلي ! كلي ! يا ابنتي.

كلي لتقوى (لاينا تأخذ الطعام، تشكرها، تأكل مضطرة)

هل موينجو والأطفال بخير؟

كنت سأنتهى هنا من هذا الطهي وأذهب للحضر

لأطمئن على أحوالهم وأتعرف على أخبارك.

لاينا : كلهم بخير.

وكيف حالكم أنتم هنا. وكيف تسировون؟

الأم : آه يا ابنتي. كنا قلقين عليك فقط ...

لانيينا : يعنى أنت كنت قلقة على...

الأم : ...ها - آ ، حتى والدك !

لقد عاب عنا الأكل والنوم !

لانيينا : إذا لماذا يستقبلنى أبى بهذه الكلمات الحادة الجارحة،
ووصل إلى حد رفضه أن أتأديه أبى، وينادىنى بالعاهرة؟

الأم : لا تأخذى هذا بمحمل الجد يا ابنتى فذلك ما هو إلا
الغضب يا بختى

لانيينا : غضب؟ ولكن أى غضب يا أماه؟

الأم : ... له يا ابنتى أه هل هذه الدنيا تنهى الكلمات؟

كل شخص له كلامه، والدك ... بدأ يتأثر الآن.

لانيينا : ... ولكن أى كلمات قد سمعها؟

الأم : أليست هى سياسيتك أنت لانيينا !

لانيينا : أى سياسية يا أماه؟

... أنتى أعمل بأذن منكم وباتفاق مع زوجى.

وفى العمل لابد للناس من شكاوى.

ولابد أن يطالبوا بحقوقهم.

وكما الآن يا أماء، عند أبي مزرعته الصغيرة،
ويزرعها ذرة. وعندما يأتى المحصول بوفرة يستطيع
بيع بعضه للعصريين.

وكلما عاد للمنزل يعود شاكياً المستوطنين بأنهم
أنقصوه السعر للغاية، وأنهم ظلموه.

ونحن هناك فى المدينة لا نبيع للمستوطنين ذرة، وإنما
نبيع لهم قوانا لصالحهم. ولذلك فكما يشتكى والدى
الثن البخس الذى يحصل عليه للذرة، نحن نشتكى ولنا
الحق فى ذلك الثمن البخس الذى يدفع لنا مقابل قوانا.

الأم : هيا، كلى إذا، كلى وأنت تتحدثين !

(لأننا تقطع كسرة من الطعام وتضعها فى فمها)

هذه الأمور لا تشغلنى كثيراً.

لا أفهم على الإطلاق مواضيع بيع القوى.

لكن... موينجو جاء هنا... وأخبرنا أن الناس... الناس...
يقولون استعجاباً أنك... أنك...

لانيينا : أصبحت قذرة؟ أصبحت عاهرة؟

(الأم - على استحياء - تومئ برأسها)

إن هذا محض افتراء، وقد تحدثنا أنا وموينجو في هذا.

وأنها مجرد ثرثرة للناس يا أماه.

وأن كل امرأة تشاهد تسير مع رجل يقال أنها عاهرة !

وهذا من تخلف الناس فقط يا أماه. (صمت)

الأم : ولكن ماذا عن زوجك، لانيينا !

موينجو يقول أنه هو الذى يطهو بنفسه لأيام كثيرة...

كلى أرجوك ... هيا كلى...

(لانيينا تقطع القليل من الطعام ثانية)

ومرات أخرى هو الذى يحمى الأطفال.

ومرات أخرى ينظف المنزل.

ابنتى، هل هو بذلك يكون قد تزوجك وله القوامة أم

أنت التى تزوجته ولك القوامة؟ هذا يا ابنتى ليس

بزواج رجل امرأة! زوجك عليه أن يطهى، وعليه أن

يكنس، وعليه أن يغسل، إيه؟ أليست بهذا تكونين أنت يا
لاتينا الرجل الذي تزوجته هو بدلا من أن يكون هو قد
تزوجك أنت؟

لاتينا : ولكن هذا ليس بالشيء الذي يحدث كل يوم يا أماء.

إذا تأخرت في الخروج من العمل فهو يطهى.

وأول أمس تم احتجازي، فقام هو بخدمة البيت.

وهذا ليس بالأمر اليومي.

وعلى أية حال، فما السوء يا أماء، في أن موكجو يخدم عائلته؟

الأم : آآآ! آآآ! لا تقولي هذا يا ابنتي، منه به

ألم تتعلمي أن الزوجة دائما تكون تحت خدمة الزوج؟

فلا بد أن تطيعه وتخدمه دائما ولحقا لينا)

ألم تتعلمي هذا لاتينا؟

ألم نعلمك هذا منذ الطفولة؟

لاتينا : لكن يا أماء...

الأم : (تبدى غضبا قليلا)

لا ! لا ! لا ! لانينا.

في هذا الأمر لا توجد كلمة "لكن". (صت)

يا ابنتي، إن هذه الأفكار العصبانية...

تلك الأفكار التي تدعى المساواة مع الرجال، تلك الأفكار

التي تدمر تقاليدنا - تلك الأفكار من أين جاءتك لاتينا؟...

(فجأة الأب يدخل وفي يده عصا. الأم تصمت فجأة.

لائینا و الأم تقفان

الأب : عجباً! يا للجهالة عندكما بلا حدود.

إننى أترككما هنا للتناصح فتقومان أولاً بالثرثرة !

الأم : إتنى أعطيتها موعظة...

الأب : اصمتي ي ي !! !

موعظة؟ موعظة أى شيطان؟

بعد عصیانی تَحاولان الآنِ خداعی؟

(مظهرًا العصا للاتينا)

أنت أيتها التعيسة! يا حمارة! يا شيطانة!

قد جعلت القرية عن بكرة أبيها تتجنبنا.

فلم يعد لنا أصدقاء ولا جيران!

ولم يعد لنا أصدقاء ولا زوار!

حملتنا كلها قد جعلتها فى الهاوية

(بها فى الاقتراب من لائنا)

إننا ستفهميننى اليوم.

سأقدم لك المواعظ الطيبة- مواعظ العصا!

(الأم بسرعة خاطفة تقف أمام لائنا. لائنا تبدأ فى التقهقر)

الأم : زوجى، زوجى!

أرجوك ألا تضربها! سامحها زوجى!

(الأم تخر ساقطة عند قدمى الأب)

لو سمحت! لو سمحت زوجى لا تضربها!

(الأم يدفع الأم بركلة ويطرحها أرضاً. الأم تبدأ فى

البكاء بصوت مرتفع. لائنا تستدير وتبدأ فى الجرى.

الأب يطردها، يخرجان. صوت الأب يسمع من الخارج)

الأب : لا تعودى ثانية إلى هذا المنزل، أيتها العاهرة! ابنة

الحرام! لا تعودى ثانية- هل تسمعيننى يى يى!

(صمت. الأب يدخل ثانية؛ يذهب إلى اللأم التي مازالت
مطروحة أرضاً تبكي. يمسك بذراعها ويمسحها)

الأب : وأنت، فإتنى أرى الملقنات^(١) لا يؤدين دورهن على ما يرام.

فلنقم! فلنقم بإرسالك إلى عمك، تعلمك من جديدة طاعة
زوجك.

(يتجاذبان قليلاً. وينصرفان)

(١) الملقنات هنا (Makungwi) يشار بها إلى من يقوم بتعليم النشى لمور البيت والزوجة.

مشهد ٦

(في مزرعة ديلامون. وقت
الراحة. تريكي، ماتوفو، ديوي،
موسى، وعامل آخر يظهرون
بملابس العمل. وتريكي يخرج علبة
سجائر. ويعزم بها على زملائه،
فيأخذ ماتوفو والعامل، ويرفض
موسى وديوي. يجلسون على
الأرض. يشعلون السجائر. صمت
لفترة).

ديوي : تريكي، أنت تعرف أننا جميعاً فرحنا بالسماح لنا
بإنشاء نقابة لنا نحن العمال.

ولقد اخترناك أنت وماتوفو وبيليخا رؤساء لهذه
النقابة. ولكنى أرى أنه مر شهر كامل دون أن
نعمل أى شيء ...

العامل : ألم نحصل على زيادة!

- موسى** : لا داعى للجهالة!
- العامل** : جاهل؟ أنا جاهل؟ أحذرك من أن تطلق على هذا!
- موسى** : جاهل ! بل جاهل جداً؛ لأنك لا ترى...
- ديوى** : (بغضب وبصوت مرتفع) هيا احذروا الخصام!
- فلا يتأتى للرجال الكبار أن يأتوا بأمور الصغار.
- العامل** : أليس هو الآن! يريد أن يدعى لنفسه ...
- موسى** : لا تقل هذا يا رجل.
- ألا تعرف اسمى؟ أحمق!
- العامل** : أترون! سمعتم؟ إننى أقول لكم ...
- ديوى** : (يقف) اخرجوا من هنا!
- اخرجوا إذا كنتم لا تستطيعون التحدث جيداً.
- يا للعجب! أتظنون أننا لا نملك ما نفعله نحن إلا
الاستماع لهرائكم!
- (صمت. ديوى يجلس ثانية)
- تريكى** : لكن الذى قاله هذا السيد حق.

لقد حصلنا على زيادة، أليس كذلك؟

العامل : أجل، وأنا قلت ذلك!

(موسى يريد أن يجيب، لكن ديوى يمنعه بإشارة باليد)

ديوى : تريكي، برجاء ألا توجع رءوسنا سيدي.

هل الشيء الذى حصلنا عليه يمكنك حقاً أن تسميه زيادة؟

موسى : ثم يعطوتنا ...

العامل : هذا ! هذا طول لسان!

(موسى فجأة يقفز على العامل ويبدأ فى التشاجر.

الآخرون يقفون سريعاً سريعاً ويفصلون بينهما.

موسى يحاول أن يقلت من أيدى أصحابه ليعود

للعامل ثانية. العامل يتقهقر للوراء نائياً بنفسه)

العامل : (بخوف) هل ! هل ل ل ! ألم أخبركم أنا؟

إنه... إنه مجنون!

ولقد رأيتموه! لقد رأيتم كيف قفز على!

إنه ناقص عقل!

(ديوى يذهب إلى العامل ويفسكه من قميصه)

ديوى : استمع أنت إذا لم تتخل عن جهالتك، فأنا كذلك
سيارك

العامل : آآآ سيدي، ظ... ظلم هذا...

ديوى : (يقبض أصابع يده ويتجه بها إلى العامل مهدداً)

اصمت ت ت ! لا تثر حفيظتي أكثر من ذلك!

(صمت. ديوى يترك العامل، وتريكى وماتوفو)

يتركان موسى. وبهدوء يعود الجميع للجلوس ثانية)

ديوى : (يلتفت إلى موسى) كنت قد بدأت أن تقول شيئاً.
تفضل أكمله...

موسى : (بعد صمت قصير) نعم... آآآ آآآ...

كنت أقول... أيعنى... هؤلاء الناس يعطوننا باليمين
ويأخذون منا بالشمال...

العامل : (بغضب) والآن ماذا تعنى أنت بهذا؟

(موسى ينظر للعامل بعين التحذير)

العامل : أ ! لا تنتظر إلى هكذا !

ماتوفو : (ناظرًا إلى موسى)

صحيح، حتى أنا أريد أن أعرف.

ماذا قصدت أنت بقولك هذا؟

موسى : (متنهدًا) يعنى ... يعنى هؤلاء الناس أعطونا
زيادة...

العامل عجباً الآن تعود إلى كلماتي ألم أقل أنا هذا!

(الجميع يلتفتون إلى العامل وينظرون إليه بعين
الكراهية)

ديوى : (قائلاً لموسى) لا تكثرت به

استمر فقط!

موسى : (يتنهد ثانية)

ومن جانب آخر ... أرى بالنسبة للعنصريين.

ماتوفو : برجاء ألا تستخدم هذه المصطلحات سيدى.

ليس من العدل استخدام كلمات نابية كهذه.

(موسى وديوى ينظران قليلاً باستعجاب)

موسى : هيا سيدى!

(صمت قليل)

الآن، ما أقوله هو أن هؤلاء الناس منذ أن أعطونا
زيادة وهم لا يسمحون لنا بعمل وقت إضافي
(Over-time)

تريكى : نعم، حقاً لم يدفع لنا وقت إضافي. ولكن لم يطلب
منا أيضاً عمل وقت إضافي. فما هي شكواك الآن؟

موسى : ولكن مازالوا يريدون منا أن نعمل نفس الورديات
من العمل كالسابق.

فليس هناك وقت إضافي، ولكنهم يلزموننا أن نعمل
أكثر فى الأوقات العادية.

وتحن بشر طبعاً ! ولسنا آليات!

ثم إن أسعار الطعام فى "الكانتين" رفعوها.

العامل : (ثانية بفضولية) وما الداعى للأكل هناك!

أ ! لم لا تذهب وتأكل فى مكان آخر!

موسى : وأين هو الوقت للذهاب بحثاً عن مطعم آخر؟

أهذا عمل أبيك؟ (صمت)

ديوى : هيا ندع هذا الأمر.

فاهتمامى لا يخص زيادة المرتبات،

وإنما يخص لانيينا.

(صمت. تريكى وماتوفو ينظر كلاهما للآخر قليلاً)

أعني، لانيينا زميلتنا وكانت قائدتنا التى ناضلت من أجل مصالحنا بشجاعة عالية لدرجة أنها خاطرت بمصالحها الشخصية.

(صمت قليل)

واليوم لانيينا فصلت من العمل ونحن لم نفعل شيئاً. ولم يصدر منا حتى صوت واحد للدفاع عنها.

العامل : (يقف ويبدأ فى إظهار الخوف)

أ هو وو- هو ! أنت الآن يا سيدى تريد أن تجلب لنا المصاعب! إنك تريد أن تأتى لنا ثانية بأخبار الإضرابات. وقد أدركت ذلك.

وأنا يا سيدى لا أريد أن أفصل من العمل.

أُتسمع... أنا... أنا عندى زوجة وأطفال، أُتسمعون...

ديوى : (بغضب) إنك تتافق فقط. من منا هنا لا يوجد لديه من يعولهم!

(يلتفت إلى تريكى وماتوفو)

أم أنتم أيضاً تتذرعون بنفس السبب فى عدم الدفاع عن لانيينا؟

(صت. العامل يعود للجلوس)

تريكى : إنكم تعرفون... أأأ... تعرفون أن لانيينا لم تفصل من السيد ديلامون.

أمرها هى... هى أمور سياسية فقط، ونحن... فى الحقيقة نحن... يعنى ليس...

ليس أمراً سويًا أن نتدخل.

ماتوفو : أظن أن هذا أمر مهم!

لا يمكننا... التدخل فى كل شىء نحن.

فحقوقنا العمالية وسياسات لانيينا هى...

يعنى... ليست بالأمور المتجانسة.

موسى : (بتعجب) تريكى ! ماتوفو ! ماذا تقولان؟

يا للعجب أتحاولان ألف الدوران بنا هكذا!

العامل : أو، ليس هناك من لف على الإطلاق!

إذا كنت لا تفهم فقل!

إنها جهالتك أنت! --

(موسى يريد "القفز على" العامل ثانية. العامل ينهض ويبدأ في الاختفاء وراء ماتوفو. ولكن ديوى يمسك بموسى بسرعة ويجلسه مرة أخرى)

ديوى : (قائلاً لموسى) برجاء أن تهدئ من نفسك.

هيا نحرص على ما سوف تنتهى إليه هذه
المحادثات.

(موسى يضطرب قلبه غضباً. العامل يعود بهدوء
إلى مكانه ويجلس ثانية)

ديوى : (ينظر إلى تريكى وماتوفو) تريكى ! ماتوفو!

سياسات لانيانا؟

ما هي سياسات لانيانا؟

النضال لحقوقنا؟

ها هو ما جعل لائنا تفصل من العمل

وكل إنسان يعرف هذا.

موسى : (بحسرة) نعم! السياسات!

السياسات، السياسات، السياسات!

لأن السياسات ماذا فيها؟

كيف سنأى بأنفسنا عن السياسات والحال أننا
مازلنا مستضعفين من هؤلاء البرابرة!

ألم تروا رجال الشرطة كيف أتوا يضربوننا أثناء
إضرابنا- أليست هذه سياسات ديلايون؟

قولوا لى، أخبرونى إذا كانت ليست سياسات.

أليست سياسات ديلايون أن يقيم لنا هذه النقابة التى
تجلب لنا الشلل؟

(موسى يقف ويمسح عرقه)

أجل، وحتى هذا الذى نفعله نحن هو سياسات.

سياسات الخائفين.

أجل، سياسات الجاهلية... سياسات الخيانة
العظمى... سياسات مزارع الخنازير تماماً !
أسمعون! إنها السياسات القذرة !

(موسى ينظر إلى أصدقائه بعين غاضبة، ثم يغادر
محتجاً. صمت)

العامل : (ضاحكاً ضاحكاً)

وبعد الآن نستطيع التحدث بطريقة جيدة.
ذلك المجنون ذلك. يأتي بالوضوء مثل...
(يكشف أن ديوى ينظر إليه بعين سيئة)
مثل... يعنى... أجل، من الأفضل أن نستمر.

تريكى : (ملتفتاً إلى ديوى) استمع ديوى!

حتى أنا فى الحقيقة أتفق معكم.
كل هذه الأمور هى أمور سياسية...
ولكن... هى كما رأيت أنت...
يعنى سياسات... سياسات لانينا لم...
يعنى لم توصلنا إلى مرادنا. أتفهم سيدى.

فالآن ها أنذا وماتوفو هنا وكذلك بيليخا...

وها نحن نحاول استخدام سياسات متفاوتة.

رويداً رويداً نستحوذ عليهم، وبعدها نحصل على مصالحنا.

وهذا هو الأمر المهم؛ أوليس كذلك سيدى؟

العامل : (بسعادة) أتستمع إذا لهذه الكلمات؟

ها هو الطريق فعلاً

ماتوفو : فى الحقيقة السيد ديلامون ليس رجلاً سيئاً.

إنه ... إنه فقط يحتاج إلى أن يفهمنا أكثر.

فإذا فهمنا...

إذا ما فهم مصاعبنا، فإننى فى الحقيقة... أظن...
الأمور ستتغير.

فلا بد فقط ... أن نتحمل قليلاً.

ديوى : ولانينا ؟

تريكى : لانينا... آ آ آ... أنت تعرف لانينا

من الصعب مساعدتها الآن. لكن أظن أنها فقط
ستحصل على ... يعنى ستحصل على عمل آخر.

ولكن سنحاول التحدث مع ديلامون فى شأنها...

العامل : (يقفز) يا للخبر! يا جماعة، إن دقائق راحتنا قد انتهت. يا للويل! إن ديلامون سيفترسنا اليوم.

(العامل يغادر سريعًا سريعًا. تريكى وماتوفو يقفان ويشرعان فى المغادرة)

ماتوفو : (قائلًا لديوى). هيا نذهب سيدى!

فليس من فائدة أن نتأخر.

ديوى : هيا! اذهبوا، أنا قادم الآن!

(يغادرون. ديوى يقف ببطء)

ديوى : يا إلهى يا إلهى! هل ما رأيته هذا حق؟

هل ما سمعته هذا حق؟

يا لقسوة ما فى الحياة! يا لقسوة الخيانة!

تريكى، ماتوفو، بيليخا! كيف انقلبوا علينا فجأة؟

(وكأنه يتنبه) لانيينا! نعم لانيينا!

لابد أن أتقابل مع لانيينا. (يغادر سريعًا سريعًا)

مشهد ٧

(لانيينا نائمة على الأريكة. فجأة
تسمع قرع الباب.

كوا! كوا! كوا! لانيينا تفرع من
النوم وتبدأ في الاستماع جيداً-
مثل الذى يسمع شيئاً ليس متحققاً
منه. كوا! كوا! كوا! الباب يقرع
ثانية).

صوت ١ : لانيينا!

(صمت)

لانيينا! أنا تريكي!

(لانيينا تنهض متجهة إلى الباب)

صوت ٢ : ربما غير موجودة. من الأفضل أن نذهب وحال
سبيلنا!

صوت ٣ : انتظروا! هيا انتظروا.

اسمع كأن شخصًا قادم.

(لانيينا تفتح الباب. الرجال الثلاثة يدخلون -
تريكي، ماتوفو وبيليخا. بدون أية كلمة يسلمون
بالأيادي على لانيينا، ثم تقودهم لانيينا إلى الكراسي
والأريكة يجلسون. بصمت تخرج لانيينا سيجارة،
وتضعها في فمها وتشعلها)

تريكي : لانيينا، أتينا لمواساتك.

لانيينا : مواساة؟ أية مواساة تريكي؟

تريكي : إدخالك الحجز لمدة طويلة كهذه.

وفصلك من العمل. إنها في الحقيقة أمور محزنة.

لانيينا.

لانيينا : ها هو حال النضال وليس هناك من وقت للحزن.

أولئك الذين يقتلون من الجوع ولا يستطيعون الدفاع
عن أنفسهم

هم الذين يستحقون الحزن عليهم تريكي.

ليس أنا ولا أنت.

جرمنا من حقوقنا - أجل، ولكن نناضل.

توها هو الأمر المهم، حتى ولو تخسر بعضنا في هذا
النضال.

(تدخن ثانية سيجارتها)

ماتوفو : إن ما تقولينه حق لانينا، لكن، على الرغم من ذلك
أنت صديقتنا ولا بد أن نحزن لما أصابك.
-- (صت) --

تريكي : هل موينجو والأطفال بخير؟

لانينا : إنهم بخير وقد ذهبوا للتكره قليلاً..

(صت)

بيليخا : ما أخبار العمل لانينا؟ وهل حصلت عليه؟
لانينا : نعم، لقد حصلت عليه.

لانينا : إن العجوز انجلى يحتاج العون في كشك له. وربما
(نعم، شئ زهيد، لكن لا بأس به) أبدأ غداً.

بيليخا : لكن هذا ليس بالعمل المناسب لانينا.
لانينا : نعم، ربما، لكن... إن فيه تدني بالنفس.

والراتب بلا شك متدنى للغاية. ...

لانيئا : إن المرتب القليل ليس هو المتدنى بالعمال،

وإنما هو حال العمل، وعلاقة العمل.

فالآن ديلامون يبخسكم أنتم أكثر مما يبخسنى
العجوز إنجيلي.

تريكي : أظن أن ما يحاول بيليخا قوله هو أن الحياة
أصبحت صعبة للغاية، ونحن جميعاً نحتاج لعمل
ذى راتب أكبر... يعنى ...

لانيئا : لكن عمل العجوز إنجيلي هو الذى حصلت عليه
الآن!

بيليخا : لكن إذا حصلت على عمل أفضل فبلا شك ستقبلينه،
أوليس كذلك؟

(صمت. لانيئا تنظر إلى كل فرد بتمعن)

تريكي : أنت تعلمين لانيئا، ديلامون رجل...

أعنى أنه الرجل الذى ... تعرفين، ليس رجلاً...

لانيئا : (بغضب) برجاء ألا تلف وندور هنا وهناك.

أخبروني بما أحضركم.

ماتوفو : أجل، لا أعرف لماذا لا نتحدث بوضوح!

فلنتحدث بوضوح فقط!

أجل، ثم ماذا... استمر تريكي...

أخبرها بوضوح فقط.

بيليخا : طالما وقد بدأت أنت ماتوفو، فمن الأفضل أن تستمر أنت!

استمر سيدى! استمر!

ماتوفو : أنا؟ لكنى أنا لست بالكب... بالكبير سيدى فمن الأفضل إذاً أن نتحدث أنت بيليخا.

اتركه. اترك تريكي هذا. هذا خائف...

لاينا : برجاء ألا نضيع الوقت.

إننى عاجزة عن التفكير فى ماهية ذلك الأمر الكبير الذى ملاكم خوفاً كهذا.

فلأيام كثيرة ونحن نعمل سوياً، لماذا الآن تخافون خوفاً كهذا؟

تحدثوا فقط! قولوا كل ما لديكم! -

بيليخا : آآآ... تعرفين لانيئا ... دياكمون -

هناك ... هناك على استعداد أن يعيدك للعمل.

(صمت جميعهم الثلاثة. ينظرون إلى لانيئا متوقعين شيئاً سيئاً منها).

لانيئا : (بثبات) لماذا؟

ماتوفو : يحترمك ذلك الأوربي.

يعلم أنك اشتغلت بإخلاص جداً.

لانيئا : وعندما طردني كان لا يعلم ذلك؟ أنا ...

ماتوفو : آه! أظن تعلمين غضب السيد!

لانيئا : .. (متبسمة إلى حد ما).

يريد أن يعيدني إلى العمل بأية شروط؟

تريكتسي : (يظهر وكأنه تعجب من هذا السؤال)

شروط؟ لا توجد أية شروط لانيئا!

أنت تعلمين لانيئا، أنت ولا يأمرك عبيدك ... آه ...

كنا في الواقع لا نفهم دياكمون. لأنه

والدهشة فإنه إنسان شقوق للغاية.

إنه يريد أن نتعاون، وأن نتفاهم.

بدون إضرابات يستطيع أن يساعدنا جداً.

لاينا : (تقف غاضبة) فعلاً قد ملأكم الأفكار الاستعمارية!

ديلامون ليساعدنا! إننا لم نطلب مساعدته!

وكيف يتأتى له أن يساعدنا والحال أنه هو المستفيد!

اسمعوا أيها الناس المضللين - ما نناضل من أجله إنما

هو حقنا، والحصول على حقنا ليس بطلب العون.

عجباً! عجباً أنكم أتيتم هنا لإقناعي بالتضامن معكم

في خيانة زملائنا العمال! تريكي! حتى أنت تريكي!

عندما جاءتني أخبارك من ضباط المباحث أولئك لم

أصدقها! ويا للعجب فكل شيء صدق!

(تقترب منهم) اخرجوا من هنا! اخرجووا

(ماتوفو يحاول الرجوع للخلف، يسقط ويقف

بسرعة جداً. بيليخا وتريكي يقفان أمام لاينا)

لاينا : (مشيرة بإصبعها إلى الباب) قد سمعتم!

قلت لكم اخرجوا!

تريكي : لانينا برجاء... برجاء ألا تغضبي.

هيا نجلس...

ماتوفو : (يضحك بجهالة) أجل لانينا! اهدئي...

هدئي من غضبك!

أنت لم تسمعي الناس يقولون أن الغضب خسارة!

لانينا : (مستديرة ومستديرة إياهم)

آ آ آه ! اتركوا هذه الكلمات الإقطاعية!

الغضب! كيف سيكون الغضب لنا خسارة

إذا كان العذاب هو أجرتنا التي تمزقنا مثل الخرق؟

(تلتف إليهم ثانية)

أخبروني إذا، كيف يكون غضبنا خسارة؟

أخبروني... ماذا يمكن أن نخسره أكثر من ذلك؟

بيليخا : هيا لانينا إذا ! هيا نجلس ثانية قليلاً!

لو سمحت!

(لانينا تعود ببطء إلى الأريكة، وتجلس. والآخرين

يفعلون نفس الشيء. وتخرج سيجارة أخرى وتشعلها
وتدخن بشراهة؛ ثم تترك الدخان يخرج ببطء)

تريكى : لانينا، الآن قد بدأت توجد حرية قليلة فى المزرعة.
لكن ... كما تعرفين... الحرية بدون ضوابط هي
خراب فقط.

لانينا : (بغضب، ضارية بلکمتها جلسة المقعد)

والضوابط بدون حرية هي عبودية!

أية حرية قول تلك التى عندنا نحن وتحتاج إلى
ضوابط تريكى؟

هيا أخبرنى! أية حرية؟

(صمت. تريكى يقف ويبدأ فى الدوران)

تريكى : لانينا، إن أكبر ما نريده الآن هو تغيير سياستنا فقط
فى المطالبة بحقوقنا.

فالقوة والخصومات لا تفيد.

فالآن هو وقت البصيرة.

لانينا، هيا انظرى حالنا

نحن الأفارقة... منذ زمن.

منذ أن كنا اثنين... ثلاثة... قلة فقط.

الإذلال تحملناه وزيادة وأغرقنا أنفسنا في البحث
عن مفاتيح هذا اللغز لغز حالنا.

إذاً لماذا حتى الآن تلاحقنا الكوابيس بأصوات
العظام النخرة وهدير الدم المراق؟

بيليخا : أجل لانينا! بالفؤاد والجسد بالحال والمال حاولنا
سحب أنفسنا من الظلام بالحبو والمشى بالقفز
والجرى... محاولين العودة إلى طريق الخلاص.

أجل! تزاوجنا مع ما في دنيانا باحثين عن مصباح
اكتشاف والدتنا فلماذا لم يثمر الوقت بعد ثمرة إنقاذ
إنسانيتنا؟

ماتوفو : (يقف بسعادة)

أجل! لأن العنف ليس بالسياسة المعتدلة سيدي!
ولابد أن نجاهد أنفسنا أولاً؛ فنعتلى المناصب، ثم
بعدها نتمكن من مساعدة رفقاتنا! (يعود ليجلس)

لاينا : (تقف وهى تهز رأسها)

حتى أنا هذه التساؤلات كانت ترد على فكرى.

واليوم تيقنت من الإجابة الصحيحة.

عمال إفريقيا لم يمكنهم بعد إنقاذ أنفسهم، بسبب
الخيانة بسبب الخائنين مثلكم، الخائنون المستعدون
حتى لبيع أمهاتكم لملئ بطونكم...

(موينجو وطفلان يدخلون. الطفلان يجريان إلى
لاينا ويحتضنانها. تريكى، بيليخا، وماتوفو يقفون)

موينجو : (يشتاط غيظاً)

أنتم... أنتم ماذا تفعلون هنا!

تريكى : قد أتينا لـ ...

موينجو : لاينا! ألم أخبرك أننى لا أريد رجالاً هنا! (يقترّب منهم)

أنتم أيها الجاهلون، ستفهموننى اليوم!

لاينا : موينجو! موينجو هيا استمع أولاً! موينجوووو.....

(موينجو ينقض على تريكى ويسقطان أرضاً.
ويخفق كلاهما الآخر. ماتوفو وبيليخا يحاولان

تفريقهما. لانينا تترك الطفلين وتساعد فى التفريق.
يتم المسك بموينجو ويرفع من فوق تريكى)

موينجو : اتركونى! اتركونى أيها البرابرة!

(يسلك نفسه ويجرى إلى الداخل)

أقسم بالله أنكم ستفهموننى اليوم!

(ماتوفو يجرى إلى الباب ويعطى بيده إشارة
لرفقائه داعيهم للفرار)

لانينا : هيا اخرجوا من هنا!

اذهبوا أيها الخائنون يا من ليس لكم ثمن. اخرجووا!

(تريكى وبيليخا يتبعان ماتوفو ويخرجون. فجأة
يدخل موينجو وفى يده عصا "عوجاية". والغضب
مازال يتطاير منه)

موينجو : أين هم رجالك البرابرة؟

أين هم؟ قمت بتهريبهم إيه؟

أجل قد قمت بتهريبهم!

إذا ستفهميننى، أيتها العاهرة!

(الأطفال يبدءون فى البكاء ويذهبون جانب والدتهم. لانيانا ترجع القهقري)

لانيانا : توقف عن حماقتك موينجو...

موينجو : حماقة أليس كذلك! إذا اليوم ... سترين حماقتي، فلقد رأيت الأمور بنفسى اليوم... بعيونى.

أعتقد أننى ... لست رجلاً، أليس كذلك؟

إذا فستعرفين رجولتى اليوم، أيتها العاهرة!

(يبدأ فى ضرب لانيانا. لانيانا تحاول حماية نفسها، ولكنها تتعثر وتقع. موينجو يستمر فى ضربها. بكاء الأطفال يزداد. موينجو يترك لانيانا ويخرج غاضباً. الأطفال يهرولون إلى أمهم، ويكون الآن بهدوء. ومازالت لانيانا ملقاة على الأرض وتسمع صوتاً يتردد بداخلها)

الصوت : من ذلك الذى ينكمش من البرد والجو حار؟

من ذلك الذى بقى وحيداً، بين الناس، وهو فى حضرة كل الناس؟

ماذا فعل فى دنياه، أو ماذا فعل فى الدنيا، حتى يعد
له هذا الظلام الدائم، ظلام الدنيا؟

من ذا الذى افترش الأرض من زهو مدمر؟

من ليس له رفيق فى الطريق وبيده يمسك؟

من هذا... الذى رأى الفرحة تتوارى وتصبح حزناً،
والحياة تذبل وتصبح موتاً؟

أجل... كالأوراق الجافة المسقوطة فأصبحت لعبة
جيدة للريح والإعصار، ذلكم هو المسكين فى
الحقيقة فى هذا العالم المنحوس.

(رويداً رويداً الأطفال يساعدون لائنا على
الوقوف. رويداً رويداً يخرجون)

مشهد ٨

(في كشك العجوز إنجيلي.
هناك ثلاث مناضد طويلة
وألواح خشبية للجلوس عليها
موضوعة على

جوانب كل منضدة.
العجوز إنجيلي يظهر وهو يقلّب
الشوربة في صفيحة، ولانينا
تنظف المناضد وهي تغنى)

وهي تغنى : أيها النمل الذى يعيش فى الخشب،

إنكم ترابطتم برباط الأخوة والإيمان.

إنكم وأنتم تقومون بجمع أرزاقكم، نعتصر نحن
من ضيق العمل.

وبينما ترضون أنتم بقدركم المبارك، نغلى نحن
من نار الفتن.

فأنتم سادة أوطانكم.

وإنكم تثمنون السعادة والحرية كاملة، فأصبحتم جميعاً في المزرعة زارعين، وأصبحتم جميعاً في الحصاد مشاركين إلا أن البشر يخططون... لظلم أخيه الإنسان في العمل، ولنهب ما على مائدة أخيه.

عندنا نحن البشر... الذين تحولنا إلى عبيد الزمان، أصبح العمل مثل عقوبة الموت.

(العجوز إنجيلي يصفق لها. لأنينا تضطرب قليلاً وتنظر إلى العجوز إنجيلي. وتبتسم)

العجوز إنجيلي : صوت ناعم حفيدتي!

وشعر عذب جميل.

أصبح العمل "كعقوبة الموت" إن كلماتك حق تماماً.

ولكن ماذا نفعل حفيدتي؟

والاستغلال يلزمنا كظلنا، منذ أن نستيقظ وحتى ننام ثانية وهذا هو قدرنا.

لايننا : (تبتسم)

ليس هذا قدرنا جدى فالاستغلال والظلم
والتدمير... هذه الأمور... بادئ ذى بدء ابتدأها
الإنسان ولإيقافها يوقفها الإنسان ولكن الكشف
الطالب للتغيير لابد أن يستمر فى الإنارة بداخلنا.
وإذا قطعنا الأمل نكون قد انقطعنا.

وأفكار القدر تلك يا جدى، هى أفكار قتل آمالنا
وعزمننا؛ ونحن لابد أولاً أن نقضى على أفكار
كتلك...

(ثلاثة أشخاص يدخلون)

الأشخاص : تحية تقدير أيها العجوز!

العجوز إنجيلي : مرحباً بكم يا أولادى.

كيف حالكم اليوم؟

الأشخاص : على ما يرام.

الشخص ١ : : أرى أنك قد أتيت لنا بفتاة جميلة، يا جدى.

تجارتك الآن أدخلت فيها المتعة حقاً حقاً.

(الأشخاص يضحكون. لائينا تنظر إلى
الشخص ١ وتبتسم وتهز رأسها)

العجوز إنجيلي : (بمزاح) لا أريد أن أرى أى شخص يلمس
حفيدتي، وإلا فسأذيقه الأمرين.

(لائينا والأشخاص يضحكون. لائينا تذهب إلى
الأشخاص)

لائينا : كيف حالكم يا إخوان!

شوربة أم شاى؟

الشخص ٢ : وماذا عنك أنت؟

لماذا أخرجت نفسك من القائمة أختي؟

لائينا : (تضحك) لا أبايع ولا أبتاع يا أخي!

الشخص ٣ : (يصفق قليلاً ويضحك) ها أنت قد قلت أختاه!

لا تباعين ولا تبتاعين! ولكن ماذا عن الحب
أختاه! فرجل مثلى أستطيع أن أحبك للغاية.

فماذا تقولين أختاه!

(ويمسك لائينا من يدها ويحاول جذبها)

لاينسا : عندى زوجى سيدى. فلا تخرجنى عن شعورى.

الشخص : لا حرج أختاه!

فأنا حتى عندى زوجة؛ واثنان!

(مشيراً بأصابعه. وصاحباه يضحكان)

لاينسا : إذا فلتحترم زوجتك من فضلك!

الشخص ٣ : عجباً أنت تريدان الآن...

لاينسا : (تخلص نفسها منه بغضب) هيا اتركنى سيدى!

متى ستبدعون احترام أخواتكم؟

متى ستتنبهون لفهم أن إهانة وإذلال النساء

يؤخر الخلاص لكل أولئك المظلومين؟

متى ستتنبهون لفهم أن النساء سواء كن فى

البيوت أو فى أى مكان، هن عاملات مثلكم؟

متى ستتنبهون لترك هذه الطبيعة التى تفيد ذلك

الضبع، ذلك المهيمن، الذى يمص دماً بلا

شفقة؟

متى يا إخواني، أخبروني متى؟

(الأشخاص ينظر بعضهم إلى بعض على
استحياء كبير)

العجوز إنجيلي : أواه! اتركي هؤلاء الصبية، حفيدتي!

إنهم هواة الشورية فقط.

أعطهم فناجين الشورية وسيكتفون بها.

فهؤلاء الصبية لا يفهمون شيئاً.

(لأننا تذهب حيث يوجد العجوز إنجيلي وتصيب
الشورية في الفناجين الثلاثة)

العجوز إنجيلي : لكن لك أن تعلمي يا حفيدتي، أنني حتى لم أفهم
تلك الكلمات كلماتك التي تفوهت بها الآن.

(لأننا ننظر إلى العجوز إنجيلي، وتبتسم قليلاً
ثم تذهب بالشورية إلى أولئك الأشخاص.
العجوز إنجيلي يغادر)

الشخص ٣ أختاه! أختاه إيه!

(لأننا ننظر إليه)

عفواً أخطاه عفواً عفواً. إننا لم نضمّر أى سوء

لانيـنـا : (تنظر إليهم وتبتسم) لا عليكم إذا...

(ديوى وموسى يدخلان)

موسى : لانيـنـا نا نا !

(لانيـنـا تلتفت وتنظر إليهما. وتذهب إليهما
وتسلم عليهما بسعادة)

لانيـنـا : ديوى! موسى!

كيف حالكما! بخير؟

ما أخبار الأيام الطوال؟

ديوى : نحن بخير.

وماذا عنك، وعن الأيام الطوال لانيـنـا؟

(يتجهان للجلوس)

يا سلام! لقد مرت فترة طويلة.

لانيـنـا : حقاً! حقاً فعلاً! أيام طوال جداً!

موسى : لقد نحفت جداً لانيـنـا.

أحاطتك شدائد كثيرة.

ارتكبنا سوءاً فى عدم المجيء لرؤياك.

لايننا : لا ! لقد فعلتم خيراً.

ديوى : فعلنا خيراً؟

لماذا لانينا؟

لم تريد رؤيتنا؟

لايننا : لا، ليس الأمر كذلك.

إنه زوجي... موينجو عنده غيرة شديدة.

موسى : لا ألومه! حتى أنا عندى الغيرة.

لايننا : (وهى تضحك) ها هى متاعب الرجال.

تجعلون الحياة مؤلمة، بغيرتكم غير الرشيدة.

(ديوى وموسى يضحكان قليلاً)

لايننا : ثم ماذا؟ أولاً ماذا أحضر لكما؟

ديوى : آ آ آ ... فى الحقيقة نحن أتينا فقط لرؤياك أنت

لَانِينَا : شىء طيب. ولكن ماذا تشربون أولاً؟

(ديوى وموسى ينظر كلاهما للآخر وكأنهما
يتساءلان عن سيدفع)

على!

(ديوى وموسى يضحكان على استحياء)

ديوى : حقاً ليس هناك داع لانينا.

لَانِينَا : أعرف. ليس من داع، لكنى سأحب أن تشربا
شيئاً

ديوى : (وهو ينظر إلى موسى) شوربة؟

موسى : شوربة.

(لَانِينَا تذهب تحضر لهما الشوربة. أولئك
الأشخاص الثلاثة يظهرون وهم يتتاجون
ناظرين إلى لَانِينَا)

ديوى : (يقول بصوت مرتفع كى تسمعه لَانِينَا)

كنا نريد الإتيان لرؤياك مبكراً أكثر من ذلك لَانِينَا.

لكن آل تريكى استفردوا بنا.

لايينسا : (عائدة بأطباق الشوربة)

أجل، لقد أتوا للمنزل مساء أول أمس وقد
تلاومنا إلى حد ما.

(تعطيهما الشوربة، ثم تجلس في مواجهتهما)

موسى : إنهم هم الذين قالوا لنا أنك موجودة هنا الآن.

لايينسا : وقالوا لك أيضاً أنهم خائنون

وأنهم لا يقفون لمصلحتكم؟

ديوى : لم يخبرونا بهذا، ولكن قد بدأنا نكتشف هذا
بأنفسنا.

(لاينا تومئ برأسها. لاينا، ديوى وموسى
يتزعجون من ضحكة عالية لأولئك الأشخاص
الثلاثة، فينظرون إليهم، ثم يعودون لمحادثاتهم)

موسى : أسمع أنك رفضت ذلك العمل عند ديلامون.

لايينسا : (والغضب بدأ يغمرها)

ولكن لماذا أقبله يا موسى؟

ألم تعلموا حيل ديلامون بأنفسكم؟

(شخصان آخران يدخلان ويجلسان بالقرب من
مجموعة لاتينا)

لاتينا : عجباً أن ديلامون يسمح لنا بإنشاء نقابتنا.

والآن وللعجب يسمح لي بالعودة للعمل.

لماذا؟ لماذا يا موسى؟ لماذا يا ديوي؟

(العجوز إنجيلي يدخل)

العجوز إنجيلي : (والغضب ظاهر عليه)

إيه! أيها الشباب! كفاكم حديثاً مع حفيدتي هذه.

إنكم ستفسدون على تجارتي بهذا.

هيا حفيدتي. وأولئك أيضاً يحتاجون للشوربة.

أعطهم شوربة! أعطهم شوربة!

شخص ٤ : آ آ آ ه ! اتركهم وهذه المرأة، أيها العجوز!

إنها ثرثرة فقط. إنها تهذى فقط!

(لاتينا تنظر إليه نظرة حادة، ثم تذهب تحضر

لهم الشوربة)

موسى : (يلتفت إلى شخص ٤) كيف عرفت أن هذه

المرأة ثرثارة، وأنت لم تدخل إلا الآن فقط؟

أم أنك تريد زرع الخصام طوال هذا الصباح؟

شخص ٤ : آ آ آ ه! أمسك عليك لسانك!

فليس عندنا وقت نضيعه هنا

(لأينا تعود. وتعطى الشخص الرابع والخامس

الشورية)

لأينا : (تجلس) أجل ! والآن لماذا...

شخص ٤ : تلك ! عادت ثانية تهذى!

شخص ٥ : (بغضب) أنت يا سيدي، دع الناس يستمرون في

محادثاتهم، مفهوم!

إذا كنت لا تطيق زوجتك طلقها.

ولا تبدأ في الإتيان لكل شخص بمشاكلك

المنزلية هنا.

شخص ٤ : عجباً ! حتى أنت ! وأنا الذى اعتقدتك رفيقاً لي،

يا للعجب...

هيا ! لا عليك. أقول لك لا عليك.

(يأخذ بفنجان شوربته إلى فيه ويبدأ فى الشرب)

شخص ٥ : اتركوا هذا ! استمروا فقط من فضلكم.

(صمت)

لايينا : آ آ آ ... كنت أريد أن أقول أن ديلامون
مستغل، إنه ضبع.

لكنه الآن يريد أن يتظاهر بأنه إنسان طيب،
إنسان عطوف.

أتعرفون لماذا؟

(صمت)

شخص ١ : ياه ! أرى هذه المحادثات بدأت فى أن تكون
لذيذة.

هيا نقترب منهم قليلاً.

(يقتربون حيث توجد لاينا. العجوز إنجيلى هو
الآخر عندما يرى أصحابه قد تجمعوا كلهم هناك
يترك ثقلب الشورية ويذهب واقفاً بالقرب من لاينا)

لاينىسا : (تستطرد)

السبب هو أنه يريد قتل إصرار العمال في المطالبة بحقوقهم.

إنه يريد منا وللعجب أن نتعاطف.

إلا أن كل هذا لمصلحته هو.

ديلامون ثعبان؛ ديلامون فأر يعض وينفخ.

شخص ٢ : الآن ديلامون هذا أى عملاق هو؟

موسى : إنه أثرى أثريائنا. إنه أحد العنصريين الذى نعمل له فى مزرعته.

إنه البربرى الذى يمتصنا بلا هوادة سيدى!

وثمار عرقنا كله يرسله إلى وطنه هناك فى انجلترا.

يبنى بلده وهنا يقتلنا.

لاينىسا : (وهى تتحنى)

إخواني، إصرارنا هو إنقاذنا.

إصرارنا لابد وأن نجلبه، إصرار السنين هذا

الذى نخترنه والمملوء بالحرارة التى لا تبرد،
ليأت ليرشدنا ليوصلنا الهدف، ليعطنا مكاننا
اللائق بنا ويرفع عنا ظلام السنين ظلام الحياة
الذى انتشر.

العجوز إنجيلي : أواه حفيدتى أواه!

ها هو مقتلى...

إنها شعرية كلماتك!

موسى : (رافعاً يده)

نار الإصرار اشتعلت!

الأشخاص : نار الإصرار اشتعلت!

موسى : نار الإصرار اشتعلت!

الأشخاص : نار الإصرار اشتعلت! اشتعلت! اشتعلت!

لايننا : علينا أن نرعى أنفسنا نحن يا إخواني، نحن
عمال الأشغال الشاقة...

أوصالنا تتآكل من الأعمال الكثيرة الشاقة.

وجوهنا تطبع عليها الفقر، ومرارة القسوة التى تحملناها.

قلوبنا جفت كالخطب،

لم تعد تعرف رجاء ولا أملاً

(العجوز إنجيلي يهز رأسه أسفاً)

شخص ١ : هؤلاء البرابرة سلخونا حقاً!

إننا الآن نتألم يا إخوان!

شخص ٢ : أقول لكم أنهم قضوا علينا تماماً!

لا نعرف فرحاً، وإنما يحتقروننا.

لاينسا : إذا لابد وأن نسألهم هؤلاء البرابرة، هؤلاء

الوحوش المتوحشون علينا:

يوم إظهار حقيقة حالنا، يوم أن يتلاطم تصميمنا

كالبحر، كيف أعدوا أنفسهم...

بيدهم تلك التي شوهتنا وجففتنا وبأنفسهم تلك

التي أطفأت علينا مصابيح حياتنا.

أى جواب قد أعدوه لنا... لترطيب حسرة ظمئنا

الذاتي، ولمواساة حنق جوعنا الذاتي، جوع

الحياة المتعطش للإشباع؟

موسى : ليس عندهم!

شخص ٣ : ليس عندهم أى جواب!

شخص ٢ : لصوص ! الجواب لا يمتلكون!

شخص ١ : يضحكون علينا فقط، الجواب لا يمتلكون!

لاينسا : إذا إخواني... نحن حيوانات خدمة.

ولابد أن نبدأ فى الانفراجة وإلا فلن ينتهى الظلم البتة.

الأشخاص : (يصفقون ويضربون بأكفهم على المائدة) أجل!

دعونا نوقف الظلم!

دعونا نوقف فقرنا!

دعونا نوقف الاستغلال!

شخص ٤ : (يقف ويتنحنح)

الآن ! وقد وقفت أيتها المرأة وقد بدأت أنت

إثارتنا ! فماذا عما لو طردنا من العمل!

هل عندك مزرعة؟

أنت... أنت ستحصلين لنا على عمل إذا طردنا

مجرد هراء! إنه الهراء! أولاً حتى أنتن النساء
تستغللننا نحن الرجال! انظري ... انظري إلى
زوجتي...

(شخص؛ يتوقف عندما يشعر أن جميع
الأشخاص ينظرون إليه نظرة سوء. موسى يقف،
والآخرون يتبعونه فرداً فرداً بالوقوف،
مواجهين شخص؛. شخص؛ يبدأ في النظر هنا
وهناك خوفاً . لاينا تشعر أن شخص؛ في خطر)

لاينا : (تحاول تهدئتهم)

انتظروا... هيا انتظروا من فضلكم...
اتركوه يتحدث أولاً...

(شخص؛ ينتهز هذه الفرصة، يخترق الحضور
ويبدأ الفرار. الآخرون يطاردونه. تبقى لاينا
والعجوز إيجيلي)

لاينا : (رافعة صوتها) انتظرووو... اتركوووه !

(عمل فارغ! تغطي وجهها بيديها)

يا للويل، يا لويلي!

إذا ما أتوا وقتلوا ذلك المسكين!

العجوز إنجيلي : هيه! انتظروا... عودوا...

إنكم... لم تدفعوا لي فلوساً بعد...

(يتبعهم بالجرى متعثراً)

عودوا! لصوص أنتم! عودوا!

(يخرج) (صمت)

لاينسا : (وهي حزينة وتهز رأسها)

ذلك صديقنا، وربما يمسون به، ويضربونه
ويؤذونه بشكل سيء! آه! حياتنا نحن العمال،
مثل... مثل حياة شخص يدفع بصخرة لا
ارتفاع لها فوق جبل لا نهاية له.

ولتثبيتها يدحرجها قليلاً قليلاً شبراً بعد شبر،
وتحت ظل الصخرة تراه صمد بشكل متهالك
وقد تتفخت عروقه وتلوننت ويكاد الدم ينفجر من
وجهه بكثرة.

الآن ينتصر الآن ينهزم، يضغط بالأصابع إلى
الأرض الروح تكاد تصعد منه والقلب يدق بقوة
عليه وفي هذه الفترة الخطرة فترة الموت أو
النصرة هنا أتساءل هل هذه الصخرة ستهزمه
هو نفسه وتخرج تحت عنفوانها، وتشهد
العودة من ظلام الليل؟ نعم ... ها هي حياتنا،
حياة الموت والمعافاة!

(صمت. تنظر هنا وهناك. تجمع بسرعة
فناجين الشورية التي على المنضدة. تخرج)

مشهد ٩

(في مكتب ديلامون. ديلامون
وشيندو جالسان على جانب المنضدة
وتريكى جالس في جانب

آخر في مواجهتهما. صوت
العمال المضربون يدوي، مغنين أغاني
سياسية).

ديلامون : (يتهدد تنهيد الكاره)

تريكى، لماذا؟

بعد الذى فعلناه! لماذا تريكى؟

ماذا يريد هؤلاء؟ لماذا لا يستطيعون أن يقنعوا؟

إذا كان ذلك هو الاستغلال، فالاستغلال حتماً
موجود، كل البشر لا يمكنهم أن يكونوا متساوين
فى الدنيا!

لا يستطيعون الحصول على راتب مثل الذى

أحصل عليه أنا!

إذا لماذا لا يستطيعون فهم هذا؟ لماذا تريكي؟

تريكي : تم تحريضهم فقط، سيد ديلامون.

لقد جاءتت... أخبار... إن بعضهم التقوا أول أمس مع لانيينا...

ديلامون : (ضارباً بقبضته المنضدة)

لانيينا ! لانيينا ثانية !

(يقف ويبدأ يلف في المكتب)

هذه المرأة حمارة، لا فضل لها، ولا شكر لها مثل الحيوان.
أعطيتها عملاً وقد رفضته.

دعنتي لصاً، وادعت أني أخدعها.

إن نيتها، هذه المرأة، تبوير تجارتي وإنهاء حياتي؟

إذا فستفهمني! أقسم برايتي... اليوم ستفهمني!

(يلتفت إلى شيندو)

شيندو، اتصل لي بالمفوض (مدير الشرطة) هيندرسون!

(شيندو، ويداه ترتعشان، يتصل. ديلا مون مستمر
فى اللف وهو يفكر)

شـينـدو : إيه... أهلا، مف... مف... مفوض هندرسون مو
... موجود؟

(يستمع)

أين... مستشفى المجانين؟

أووو آسف ! ... أخطأت الرقم !

(ديلا مون يذهب إلى المنضدة بغضب. وينزع
الهاتف من شيندو ويبدأ هو فى الاتصال بنفسه)

ديلامون : أغبياء، حتى الأمور البسيطة تستعصى عليكم.

(صمت)

أووو ألووو ! ناد لى المفوض هندرسون.

أين؟ مستشفى المجانين؟

(يضع الهاتف بغضب)

تخلف ! هواتف التخلف هذه !

(شيندو وتريكى يحاولان منع الضحك. ديلامون
بمسك ثانية بالهاتف، ويتصل)

أجل ! هواتف التخلف !

(يستمع لفترة)

عجباً ! لماذا هؤلاء لا يرفعون... ألوو ! أين هذا
... ووو ! حسناً جداً !

المفوض هندرسون ... أريد التحدث مع المفوض
هندرسون ماذا؟ من ... أنا؟
هنا ديلامون ... وهو كذلك.

(ينتظر. يغطي السماعة بيده ويتحدث مع شيندو)

استدع لى كيمبو بسرعة ...

آ آ آ : أهلاً بالمفوض ...

(شيندو يقف سريعاً. ينزل كرسيّاً. يستعدله
ويحاول ألا يرى ديلامون. يخرج)

ماذا عن الأيام الطوال يا رفيقى... أجل...

عجباً، هل تعلم! إن أزممتنا مستمرة هي هي.

أجل ... إضراب كبير ... أجل.

لابد وأن نأخذ إجراء قاسياً هذه المرة.

أجل ... نعم ...

(شيندو وكيمبو يدخلان. شيندو يذهب يجلس على
الكرسي. كيمبو يقف بالقرب من الباب)

قد سمعنا أن تلك المرأة، لانيئا، هي التي
حرضتهم... أجل ... لابد وأن ننهيها تماماً ...
حسناً.

وهو كذلك، حسناً.

شكراً جزيلاً مفوض.

وهو كذلك. إلى اللقاء إذاً.

(يضع السماعة. ويجلس. يظهر منهكاً للغاية)

شيندو : ك... كيمبو هنا يا سي ... يا سيد ديلامون !

ديلامون : وهو كذلك؛ يا كيمبو !

كيمبو : نعم سيدي !

(ديلامون ينظر إليه بغضب)

هناك رجالان ... وكيلان لهؤلاء العمال ... اذهب
نادهما؛ أسرع.

كيمبو : حاضر سيدى (يخرج)

صوت العمال : إن الشباب يزودنى بدم الحرارة الذى لا يعبأ
بمشاحنات الحرب ولا الموت ولا الخسارة إن
المستقبل يقيناً إنهاء للفقر، وتخليص لآلام الصبر.

تريكى : الآن أرى ... أ ... أرى أنا من الأف ... الأف
... الأفضل أن أذهب وحال سبيلى سيد ... سيد
ديلامون. لا أعرف ما ... ما إذا ... (يقف)

ديلامون : (يضرب المنضدة بقبضته)

اجلس فوراً !

(تريكى يرمى بنفسه على الكرسي)

الأوضاع الآن تغلى وأنت تريد الفرار! أنتم جميعاً
تهزمكم امرأة ... امرأة واحدة فقط ! لا تريكى !
أنت الشاهد لنا.

ستشهد على مضايقات زملائك.

وستبقى هنا حتى ننتهى وما نريد.

تريكى : لا ... لكن ...

ديلامون : لا أريد لكن، تريكى، وإلا أجلب لك المشاكل الأكبر
من مشاكل لانينا.

إنها كانت صديقتك، أليس كذلك تريكى؟

(الباب يقرع. شيندو يحاول الوقوف ذاهباً يفتحه.
ديلامون يمسه من معطفه ويجلسه)

ديلامون : أليس لك لسان؟

شيندو : (يضبط هندام معطفه)

عجباً ... أجل ... أدخل ل ل !

(ديوى وموسى يدخلان. يمشيان حتى المنضدة.
يقفان. ينظران إلى تريكى، لكن تريكى ينظر إلى أسفل)

ديلامون : (يظهر الغضب) اجلسا فقط !

(يسحبان كرسيين، يجلسان. صمت)

ديلامون : الآن ما هى شكاواكم هذه المرة؟

ليس عندكم شكر ولو قليل، أتعلمون؟

أعطيناكم إذنًا بإنشاء نقابة.

أعطيناكم زيادة.

حتى لانينا أعطيناها عملاً، وهى التى رفضته !

ليس لديكم شكر؛ أترون؟

(ديوى وموسى ينظر كلاهما للآخر. ديوى يومئ

لموسى برأسه. يقفان ويبدآن فى الاتجاه نحو

الباب. ديلامون يقف سريعاً سريعاً ويهرول

إليهما. ويقف أمامهما)

ديلامون : انتظرا ! تفضلا بالانتظار!

يا للعجب أتغادران بهذه الطريقة؟

ديوى : إننا لم نأت هنا للتحدث عن موضوع الشكران!

فإذا كنت تريد...

ديلامون : (يرضيهما) وهو كذلك ! إذا أوافق ! عودا تفضلا عودا.

أخبرانى بشكاويكم ! تعاليا، اجلسا من فضلكما.

(يعودان رويداً رويداً، يجلسان. ديلامون يعود إلى
كرسيه)

ديلامون : وهو كذلك... الآن اشرح لي مشاكلكم

موسى : بادئ ذي بدء، ومنذ اليوم لا نريد ثانية هؤلاء
الخائنين (ينظر إلى تريكي)
أن يكونوا قادة نقابتنا.

ديلامون : لكن هؤلاء هم الذين اخترتموهم بأنفسكم.
لا أعرف لماذا...

ديوى : اخترناهم بأنفسنا، أجل، والآن تعزلهم بأنفسنا.

ديلامون : لكن لا أعرف لماذا، تدعونهم خائنين. هؤلاء هم
الذين...

موسى : يكفي أننا نعرف !

ديلامون : هؤلاء هم الذين حصلوا لكم على زيادة...

ديوى : زيادة ليس لها أية قيمة !

ديلامون : والذين بدعوا لكم نقابة المطالبة...

موسى : بمصالحك، ومصالحهم، مصالحكم.

(ديلامون يهز رأسه يميناً ويساراً ناظر إلى تريكي
وشيندو باندهاش)

ديلامون : هذه أمور عجيبة !

يعنى ... ذلك الذى يناضل لكم ...

ديوى : سيد ديلامون، لا أعرف لماذا تعارض هذا الأمر.

إذا كانت النقابة هى نقابتنا فعلاً، فيكون لنا الحق
فى توكيل من نريده وفى عزل من لانريده.

ديلامون : أجل... أجل ... لكنك تعرف أن النقابة لابد أن
تلتزم بقانون ! كما تعرفون، بموجب قانون نقابتكم
أنا حتى ليس لى الحق فى التحدث معكم.

وممثلوكم هم هؤلاء (مشيراً إلى تريكي)

وهؤلاء هم الذين يصح لى أن أتناقش معهم عن
مشاكلكم. وإنه التعاطف منى فقط...

موسى : (بغضب)

دع أمور تعاطفك سيد ديلامون !

لسنا بحاجة إلى تعاطفك.

(صمت. ديلامون يظهر اندهاسه من هذا الجواب)

ديلامون : وما هو قانون نقابتكم !

ديوى : هذه القوانين لم نسنها نحن !

ديلامون : سنها ممثلوكم ...

ديوى : ... الذين لا نفهمهم الآن !

ديلامون : (غاضباً) ولكن القانون هو القانون.

لا يمكن تغييره عبثاً فقط.

لا يمكن تغييره لتبديل القادة فقط.

هذه الخطوة ستكون ضد القانون.

يجب أن تفهموا أن القانون مثل القيد ...

موسى : الذى وحتى الآن قد قيدنا نحن فقط.

أما انتم المهيمنون مازلتُم أحراراً فى أن تلعبوا بنا
كيفما تشاءون.

أجل! سيد ديلامون ! قانونكم قيد !

والآن نريد كسر هذا القيد.

ديلامون : لكنكم وافقتم عليه بأنفسكم، أليس كذلك؟

ديوى : بلى ! والآن نرفضه بأنفسنا !

مددنا أيدينا بغباء، فقيدتمونا بالقيود.

والآن سنستخدم قوانا بأنفسنا لكسرها ... إذا كنتم
لن تقبلوا بفكها !

(مرة أخرى أصوات العمال تسمع)

الأرواح قادمة... بصوت الحق والمتألمة من أحكام
الضنك إنها متفهمة ! الأرواح قادمة بالقيامة
بالملاحقة والنقب لحصون الظلم وتبذ الذل ...
فاحتضنى الإثارة دون شك وانهضى بحثاً عن
الطريق سريعاً سريعاً وأسرعى بنفسك إلى الفسحة
دون هرب... من حكم العبد صاحب الآلام.

(فجأة تسمع أصوات نجدة البوليس. وصخب
العمال والإثارة الجميع فى المكتب يققون. شيندو
وتريكى يريدان الخروج جرياً، لكن يدخل ثلاثة
أشخاص بعصى غليظة)

شخص : أصدقاءنا يضربون ديوى ! يضربون بقسوة بقسوة
من البوليس.

يقبض عليهم ديوى ! فلنذهب ! فلنفر .

ديلامون : أصدقاءكم يضربون !

وتم القبض على لانينا !

الآن قواكم انتهت، فى خبر كان!

(يستمر فى الضحك. كل شخص ينظر إليه. ضحكته
تختفى رويداً رويداً حتى... الصمت.... ديوى يتزع
"شومة" من أحد الثلاثة ويذهب ببطء إلى ديلامون.
ديلامون. وشيندو وترىكى يبدعون فى التقهقر.
وببطء، ديوى وموسى والأشخاص الثلاثة يتبعونهم.
الآن ديوى قريب من ديلامون. يرفع شومته)

ديوى : دع الدم يسبح !

الأشخاص : دعه يسبح! دعه يسبح !

ظلام

مشهد ١٠

(في غرفة ضيقة بالسجن.
مرتبة موضوعة بجوار الغرفة. لانينا
تكوع نفسها في أحد الأركان.

تسمع الباب يفتح. تضطرب
وتتجه إليه. يدخل أحد العسكر.
يغلق الباب من الداخل)

العسكري : (يتصنع الضحك) أختاه ! ما الأخبار؟

(لانينا تومئ برأسها)

العسكري : الآن أختي ... تعلمين ... أنا ... أريد أن أساعدك
... فماذا تقولين؟

(صمت)

أعني أنت إذا ... إذا ... إذا سمحت لي أنا أستطيع
مساعدتك جداً، فماذا تقولين؟

(صمت. يقترب من لانينا) ماذا تقولين أختاه؟

لانيـنا : إذا سمحت لك فعل ماذا؟

العـسـكـرى : آ آ آ ه أختاه، لا تجعلي من نفسك طفلة.

تعلمين أنا وأنت نستطيع الاستراحة، وأنا
سأساعدك.

سأحضر لك الطعام الكثير، والسجائر وما شابه
ذلك. فماذا تقولين؟

(يقترب منها ثانية)

لانيـنا : تفضل اخرج!

اخرج واتركني وحدي !

(العـسـكـرى يستمر في الاقتراب منها. لانيـنا ترجع للخلف)

العـسـكـرى : الآن هل تريدان أن تجعلي نفسك عنيـدة أليس كذلك؟

إذا فليُر كل منا الآخر !

(يهجم على لانيـنا، ويحاول تقبيلها ويقطع لها
الملابس. لانيـنا تركله في نصفه الأسفل. العـسـكـرى
ينبطح أرضاً ويبدأ في الصراخ من الآلام)

العـسـكـرى : آى آى، إنك امرأة شيطانة إنك خسرتى اليوم! يووو

لقد خسرتنى! سأقتلك اليوم! سأقتلك! وسترين سأقتلك!

(يحاول الوقوف. فجأة يدق الباب بقوة، وصوت ينادى)

الصوت : بن !

(العسكري يقف سريعاً سريعاً متألماً. يجرى إلى الباب، ويفتحه. لانينا تنظر بقوة. ثلاثة أشخاص يدخلون، اثنان من المباحث ووكيل الحكومة. العسكري يؤدي تحية قوية، ثم يبدأ فى الخروج. لكن ينادى عليه من ضابط مباحث ١)

ضابط مباحث ١ : بن

العسكري : أفندم !

ضابط مباحث ١ : ماذا كنت تفعل هنا فى الداخل؟

العسكري : أنا ... أنا ... أنا كنت ...

(يحاول إضحاك نفسه قليلاً)

كنت ... لا ... لا أفعل أى شيء فى الحقيقة ... يعنى ...

(ضابط مباحث ٢ والوكيل يذهبان إلى لانينا)

ضابط مباحث ١ : بن!

العسكري : (مزهوا) أفندم!

ضابط مباحث ١ : اذهب وانتظرنى فى المكتب !

العسكري : (يؤدى التحية) تمام أفندم !

(يخرج. ضابط مباحث ١ يذهب حيث صاحبا)

ضابط مباحث ١ : لانينا ! ما أخبار الأيام الطوال؟

(صمت)

أتتذكريننا أم لا؟

(لانينا تومئ برأسها. الوكيل يضبط رابطة عنقه.

يخرج ملفاً من حقيبته، ويبدأ الاطلاع عليه)

حسناً ! تتذكرين كلماتى لانينا؟

(صمت)

تتذكرين أننى أخبرتك أن حياتك فى أيدى أناس من

أمثال السيد ديلامون؟

(صمت)

إذاً الآن قد أوقعت نفسك فى الفخ؟

- لايننا : لآى ذنب؟ ما هو ذنبى؟
- ضابط مباحث ٢ : السيد الوكيل هنا سيشرح لك.
- (ينظر إلى الوكيل)
- الوكيل : (يرفع وجهه ويسلك زوره)
- أجل... لانينا وا مويكا، الدعوى عليك تخص القتل...
- لايننا : (تتعجب) قتل؟ قتل من؟
- الوكيل : قتل السيد ديلامون، والسيد شيندو ورفيقك أنت السيد تريكى!
- لايننا : تريكى! شيندو! وديلامون!
- قُتلوا !! متى؟ كيف؟
- الوكيل : قتلوا بالأمس...
- لايننا : كيف كان ذلك؟ من فضلك أخبرونى كيف كان؟
- ضابط مباحث ٢ : قتلهم أصدقاؤك، العمال أصدقاؤك! ديوى وموسى وآخرون!
- ضابط مباحث ١ : لسوء الحظ حتى الآن لم نتمكن بعد من القبض

عليهم. ومن الممكن أنهم عبروا الحدود.

لايننا : (تمسك برأسها) يا إلهى سبحانه !

لكن كيف كان؟ أخبرونى لو سمحتم !

الوكيل : كل هذا ليس مهماً.

ستعرفينه عندما تذهبين إلى المحكمة.

لايننا : إلى المحكمة؟ إلى المحكمة لعمل ماذا؟

أنتم تعرفون أننى لست التى قتلت.

أخبرتمونى بأنفسكم الآن.

فبأى دعوى ترسلون بى إلى المحكمة؟

ضابط مباحث ٢ : (يبتسم)

أنت شريكة فى هذا القتل لايننا.

لايننا : أنا؟ لكن كيف، وأنتم حجزتمونى منذ أمس؟

ضابط مباحث ١ : أنت التى حرصت على هذا القتل لايننا.

أتذكرين كلماتك التحريضية فى كشك العجوز إنجيلى؟

وتتذكرين ذلك الشخص الذى ضربتموه لعدم

موافقته على كلماتك؟

كلماتك تلك لانيينا هي السبب في موت الأشخاص الثلاثة
(صمت. لانيينا تومئ برأسها)

ضابط مباحث ٢ : هل عندك ما تقولينه لانيينا؟

لانيينا : أجل، عندي الكثير الذي أقوله.

لكن ليس لأشخاص مثلكم ... مصالحنا مختلفة
والقوانين التي وضعتموها أنتم تراعى مصالحكم.
الآن من فضلكم اخرجوا فقط واتركوني وحدي.

(تستدير. تشبك يديها ناظرة أسفل. تبدأ تدور في
الحجرة. الضابطان والوكيل ينظرون إليها قليلاً ثم
يستديرون، رويداً رويداً ينصرفون. ولكن قبل أن
ينصرفوا، لانيينا تلتفت فجأة)

لانيينا : السيد الوكيل!

(الجميع يقف، ويلتفت)

اللسان سكين؟

الوكيل : في ... في الحقيقة لا ... لا أفهم سؤالك.

لانيـنا : لا عليك. شكراً.

(يستديرون ثانية للخروج)

لانيـنا : السيد الوكيل !

(يلتفتون ثانية فى مواجهة لانيـنا)

من فضلك بلغ زوجى هذا الخبر.

وأخبره أن يشرح لأطفالى كل شيء.

كل شيء لو سمحت.

(الوكيل يلبى برأسه)

الوكيل : تعرفين لانيـنا، كان من الأفضل لك إذا ما نأيت

بنفسك عن هذه الأمور ومكثت فى بيتك لرعاية

زوجك وأطفالك.

فالسيسة لعبة قذرة، وهذه اللعبة تترك للرجال!

لانيـنا : أجل ! حقاً السيسة لعبة قذرة.

وفعلاً لابد الآن من أن ننقيها، وغلق البيوت على

المرأة، وعزلها عن حقيقة السيسة طوال حياتها

لهو أيضاً من قذارة سياستكم.

الآن لابد من تطهير ذلك.

الوكيل : (ضاحكاً) أحلامك لانيينا!

السياسات؟ كيف تتظفين السياسات؟

لانيينا : (مبتسمة) السيد الوكيل، إذا كان اللسان استطاع أن يكون سكين قتل، فلماذا لا يمكن أن يكون صابون تنظيف؟

الوكيل : (يومئ برأسه) لانيينا ! لانيينا !

(يستدير ويخرج هو وصاحباة)

لانيينا : لا ! هذا غير ممكن !

كيف سيكون؟ كيف سيكون؟

كنت بالجوع وبالخرق على الجسد، أقوم بالأعمال وليس لها ثمن، تجنباً للتعرض إلى الملامة.

وعند الضرب والسب يكون الصمت مثل الحيوان.

فلا فرصة للاستراحة ولا للنوم ولا حتى للتفكير فلماذا إذاً فعل هذا؟

وأى ذنب، جلب لى هذا العذاب الذى لا نهاية له؟

(تنظر أعلاها)

أيها الطير الطائر في الهواء أعلمهم بما يدور في
خلجى وأخبرنى عندما تتمايل عيدان الذرة مرفرفة
قاطعة سواد حرارة الشمس، هل مازالت أمى بعد
واقفة تبكى بكاء الصمت منتظرة إياى؟

وهل صورها تبرز المرة تلو الأخرى. متوجهة
هنا إلى السجن؟

أمى الحبيبة، سأعود للوطن.

سأعود حتى ولو فى الكفن.

حتى ولو كانت جثتى مقطعة ألف قطعة أو حتى
عشرة آلاف، سأعود للوطن، ومثل العفريت
سأخترق وأقفز فوق هذه الحواجز المنيعة.

سأعود، أمى الحبيبة حتى ولو فى النعش.

سأعود ...

ظلام

حاجز الزمن

تأليف: إبراهيم حسين

ترجمة: محمد إبراهيم محمد أبو عجل

تقديم

هذه المسرحية- حازر الزمن- هي أول مسرحية نشرت لإبراهيم حسين عام ١٩٦٧^(*)، وبعدها قامت طالبات مدرسة جانجواني Jangwani الثانوية للبنات بتمثيلها في إبريل ١٩٦٨ بمناسبة الاحتفال بعيد مسرح الشباب، ولاقت قبولاً كبيراً وإعجاباً شديداً لما تعكسه من صراع واقعي بين القيم القديمة والحديثة في المجتمع السواحلي التتزاني خاصة والمجتمع السواحلي والإفريقي عامة.

ومن هنا لاقت رواجاً واسعاً فرض نفسه على دور النشر أن تقوم بإعادة طبع ونشر المسرحية سنوياً أو كل سنتين لنفاد أعدادها دائماً. وبعدها ألف إبراهيم حسين العشرات من المسرحيات ونشرت له أشهرها كينجيكيتيلي Kinjeketile عام ١٩٦٩ وهو بطل قومي، رآه عام ١٩٧٠، الشياطين عام ١٩٧١، الديك في القرية... عام ١٩٧٦، الزفاف عام ١٩٨٠، عند حافة الغابة عام ١٩٨٨.

^(*) Wakati Ukuta. Darlite. Jarida la Wanafunzi wa Chuo Kikuu cha Dar es Salam, Toleo No.2, 1967.

إبراهيم حسين ولد عام ١٩٤٤ في مدينة Lindi التنزانية وأبوه نور الدين حسين الشاذلي الشرطي. ووالدته رحمة سيف الدين(**)

تخرج إبراهيم حسين من جامعة دار السلام عام ١٩٦٠، وعمل معيداً بقسم الفن المسرحي بالجامعة. وسافر في منحة دراسية إلى ألمانيا لدراسة المسرح توجت بالحصول على الدكتوراه عام ١٩٧٤ ليعود إلى تنزانيا وشرق إفريقيا يدرس ويؤلف المزيد من المسرحيات خاصة بعد أن ترك التدريس بالجامعة عام ١٩٨٧ لينكب ويتفرغ تماماً للتأليف المسرحي، وما زال يقيم في دار السلام بتنزانيا(***) .

(**) القضايا الاجتماعية للأسرة التنزانية في مسرح إبراهيم حسين، رسالة ماجستير غير منشورة للباحث أيمن إبراهيم الأعصر، كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر، إشراف أ.د. محمد إبراهيم محمد أبوعجل، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٤.

(***) المرجع السابق.

المسرحية وهى فن التعبير عن فكرة خاصة لها واقعيتها فى الحياة وقابلة لأن تحكى وتؤدى فوق خشبة المسرح أمام مشاهدين، ويعتمد التعبير فيها على الحوار والإيماء بأجزاء الجسم، أضحت فى عالمنا المعاصر من أنجح الطرق العلمية والعملية لمعالجة آلام وآمال الشعوب، وخاصة مع التقدم فى وسائل العرض والإخراج المسرحى.

والمتتبع لموضوعات المسرحيات السواحلية التنزانية لإبراهيم حسين يجدها فى جلها تعالج ثلاثة موضوعات كبرى: الصراع الثقافى، النقد السياسى والاجتماعى، مناهضة الاستعمار قديماً وحديثاً.

والمسرحية التى بين أيدينا- حاجز الزمن- إنما تتعرض للصراع الثقافى والطريقة المثلى لمعالجته سلمياً. فأفراد المجتمع السواحلى المعاصر يتجاذبه تياران: تيار تقليدى محافظ، يمتد من بيئته الطبيعية والتاريخية يمثل أم تاتو/ عائشة، وتيار معاصر متحرر متأثر بما يدرس من مقررات دراسية غربية، يمثل أم تاتو وسوائي. فأم تاتو تستنكر على ابنتها تاتو لبس القصير من الثياب ومرافقة الصبيان، بينما تاتو ترى فى ذلك سلوكاً معاصراً منتشراً بين شباب العصر لا غبار عليه. وهنا يكمن الصراع بين الجيلين: جيل الآباء وجيل الأبناء.

والمجتمع- أى مجتمع- لا يخلو من حكماء يقومون بدور التوفيق بين مثل هذين التيارين عند ظهور صراع قد يصل إلى قطع ما بين التيارين من صلات قريبي ووشائج دم. ويمثل دور هؤلاء الحكماء والد تاتو/ جمعة الذى وإن كان أمياً إلا أنه حكيم مثقف وناصح أمين لأسرته ومجتمعه؛ إذ ينصح بأخذ أفضل ما لدى التيارين المتصارعين من توجه وسلوك. فهو ينادى بإعمال الفكر والمنطق والتاريخ فى شرح وتفكيك إحدى عقد المسرحية وهى عقدة الصراع بين التيارين المذكورين.

وهو يقدم رؤيته الحكيمة ونصحه الرشيد إلى كل من زوجته عائشة (أم تاتو) التى تمثل التيار التقليدى المحافظ؛ وكذلك إلى صديقة تاتو/ كريستينا الأوربية ذات الأفكار المعاصرة المتحررة، والتى تنظر إلى كثير من موروثات أصحاب التيار التقليدى المحافظ نظرة نمطية سلبية مغلوبة، فيصحح لكل من الطرفين نظره إلى الآخر ويرشد الطرفين إلى أن الحكمة تقتضى بفهم كل طرف لوجهة نظر الطرف الآخر قبل الحكم عليها سلباً أو إيجاباً. ولو التزم كل طرف بذلك ونأى بنفسه عن إطلاق الأحكام المسبقة أو الحكم بدون علم ضد الطرف الآخر لساد فى الأرض الود والوئام والتفاهم والتعايش السلمى لبنى الإنسان.

والمسرحية وهى تعالج هذا الصراع لم يفتها أن تشير إلى إظهار الوضع الاقتصادى المتدنئ لموظف الحكومة فى تنزانيا وانخفاض مرتبه إلى حد الفاقة والعوز!! وهذا ظاهر جلى فى حوار تاتو وسوائى بعد زواجهما مباشرة. ولم يفتها كذلك الإشارة إلى تفضيل جنوح أفراد المجتمع- وخاصة من النساء- إلى أساليب التلميح والكناية والمواربة اللغوية وخاصة عند الحديث عن أمر خرج عن عرف المجتمع وعاداته. وفى هذا إشارة إلى أن ثقافة المجتمع ثقافة معقدة ومتراكمة وليست بالبسيطة ولا السطحية. والقارئ للمسرحية سيلاحظ ذلك عند قراءته لما دار بين السيدات الأربع الاثني هن من الجيران وبين أم تاتو بعدما تزوجت تاتو من رفيقها سوائى على يد رئيس الحى دون علم والدى تاتو وقدمن إلى منزل أم تاتو الواحدة تلو الأخرى لاستكشاف حقيقة الأمر ولكن تحت أغطية وأقنعة وذرائع مختلفة!!

وبمناسبة الحديث عن لغة المسرحية نجد المؤلف كان موفقاً عندما أجرى على لسان كل شريحة من شرائح المجتمع ما يناسبها من مستوى لغوى يمثل الجارى على أرض الواقع فى المجتمع. فلغة والدى تاتو تختلف فى مستواها عن لغة تاتو. ولغة كريستينا تختلف فى مستواها عن لغة تاتو، نظراً لاكتساب كريستينا اللغة السواحلية عن طريق التعليم أولاً والممارسة ثانياً فهى أوربية الأصل، بينما تاتو

اكتسبت لغتها بالممارسة أولاً ثم التعليم ثانياً إذ إنها بنت بيئتها ولغتها
الأم هي السواحلية.

وهذا الاختلاف فى مستوى استخدام وفهم اللغة عند كريستينا
أظهره المؤلف عندما أجرى التالى على لسان والد تاتو وكريستينا:

الأب : كريستينا، أنت مولودة ولك والدان.

كريستينا : بالنسبة للولادة أنا مولودة، لكن بالنسبة
لوالدين فلا أملك.

الأب : يا للعجب! الآن أى لغة سواحلية هذه.

كريستينا : والمعنى أنا هنا أقيم بمفردى
ووالداى هناك فى موشى. هنا أنا أتيت للعمل فقط.

الأب : لكن أليس لك والدان هناك فى موشى - الأب؟ والأم؟

كريستينا : ماشى

الأب : ها هو ما يعنى أن لك والدين...

هكذا نجد المؤلف لم يفتّه أن يظهر المستوى اللغوى الركيك فى الفهم والاستخدام المتوقع من شابة اكتسبت السواحلية بالتعليم أولاً وليس بالممارسة، ففهمت عبارة "لك والدان" أو "عندك والدان" على أن المقصود بها أن لديها والدان يقيمان معها فى الوقت الراهن وعجزت عن أن تفهم أن العبارة فى سياقها هذا لا تحمل معنى الإقامة هذه!! هذا بالنسبة للفهم والتلقي، أما بالنسبة للرد فكان من ردها عبارة "لا أملك" وهى تقصد بذلك أنها لا تعيش مع والديها والفرق كبير بين ما قالته وبين ما تعنيه.

أما لغة والد تاتو فهى تمثل أعلى مستويات استخدام السواحلية فى المجتمع لفظاً ومعنى ولذلك قلت الكلمات وكثرت المعانى وتخلل الحديث بعض الحكم والأمثال تعصيذاً لما يرمى إليه من معان كثيرة، وأفكار واسعة بألفاظ قليلة تتناسب ووقت العرض المسرحي. ومن هذه الحكم والأمثال (العقل زينة)، (إذا بكى طفلك على السكين فأعطه إياه)، (كل وقت له آذان) وهلم جرا.

كذلك لم يفت المؤلف أن يشير إلى كريستينا على لسان والد تاتو بأنها من أهل ساكنى المرتفعات مشيراً بذلك إلى المستعمرين الأوربيين حيث فضلوا سكنى المرتفعات عند تخطيطهم لإقامتهم فى المدن التى استعمروها فى إفريقيا لعوامل أمنية وطقسية وفى هذه رمزية تدل على الوعي التاريخي والجغرافي للمؤلف ممثلاً فى والد تاتو.

ثم إن إطلاق اسم كريستينا على ابنة ساكنى هذه المرتفعات فيه رمزية دينية كذلك تدل على أنها مسيحية الديانة مثلها فى ذلك مثل أهلها ساكنى هذه المرتفعات.

والمؤلف أستاذ فى الرمزيات الأدبية إذ أن اسم بيلي الذى أطلقه على رفيقة سوائى، له معنيان هما: "الثانى"، "الأفعى". وإذا كانت أسماء الأعلام لا تعلل إلا أنها إذا لم تعلل عند إبراهيم حسين يكون الدارس لمسرحياته فاته الكثير وكذلك المشاهد لمسرحياته. ف شخصية بيلي يصلح اسمها لأن يكون اسماً على مسمى: فهى فى المسرحية كانت شخصية ثانية مع تاتو فى حياة سوائى وحتى مع أى صديق لها متزوج من غيرها، ثم إنها استغلت جمالها ودلالها لجذب سوائى لتجعله يندم أنه تزوج من تاتو خاصة وأنها زارته فى وقت توترت فيه الأعصاب بين سوائى وتاتو، وهو وقت بالتأكيد مقصود من بيلي ومخطط له- وإن كان بطريق غير مباشر، لأنها وصلت إليه بعدما خرجت تاتو من المنزل!! ومن هنا يمكن للمعنى الثانى فى الاسم "أفعى" أن يركب على أفعال وسلوكيات الشخصية.

وكذلك اسم سوائى هو اسم يكثر إطلاقه بين أبناء قبيلة وابارى Wapare فى محافظة كليمنجارو بشمال تنزانيا ويعنى من ضمن ما يعنى "القناص". ولذا فإن إبراهيم حسين يريد أن يرمز بهذا الاسم إلى

كل من يقتنص الفرص لإشباع رغباته وشهواته حتى ولو باستغلال الآخرين. وهذا هو ما حاول سوائي فعله مع تاتو وبيلي.

وأن ما لحق بالمجتمع من سلبات عصرية من وجهة نظر والد تاتو يرجع في معظمه إلى الخطط والمناهج والمقررات الدراسية المليئة ببث العادات والتقاليد الغربية وتقريرها على طلاب وتلاميذ المدارس وفرضها عليهم لدراستها ومن هنا يأتي التأثير والتأثر؛ مما جعل تاتو تصمم على الخروج مع رفيقها سوائي إلى السينما رغماً عن إرادة أمها، وجعل سوائي يرافق أكثر من فتاة، وجعل بيلي لا تتورع عن زيارة رفقاءها من الرجال واسترجاع ذكريات الحب بينها وبينهم حتى بعد الزواج من غيرها، وجعل سوائي لا يتورع عن ملاطفة بيلي جنسياً معبراً لها عن حبه لها وهو في الشهور الأولى من زواجه من تاتو !!

فما كان من بعد كل ذلك إلا أن يفشل الزواج وتتركه تاتو بعد أن رأت تاتو منه ما رأت وسمعت منه ما سمعت وهو يلاطف بيلي ويحاول الإيقاع بها مؤكداً لها أن زواجه من تاتو إنما كان زواج شفقة عليها وليس حباً لها، ويبقى في النهاية سوائي وحيداً رامياً نفسه على كرسي وواضعاً وجهه بين يديه.

الشخصيات

تاتو Tatu : ٢١ عاماً. متوسطة الجمال. ترتدي القصير. نموذج الفتاة العصرية. ليست متواضعة تماماً، لكنها ليست جائرة.

أبوها Baba Yake : جمعة. ٤٠ - ٥٠ عاماً. زيه الجلباب، والطاقيّة، والمعطف والسرّوال. ليس متعلماً لكنه صاحب بصيرة. نموذج الرجل السواحلي.

أمها Mama Yake : عائشة. ٤٠ - ٤١ عاماً. زيتها الجلباب والخمار. ليست سيئة الخلق في الحقيقة بالرغم من أنها تبدو كذلك. ننبها يتمثل في أنها تريد لابنتها أن تكون مثلها (إذا كان هذا سيسميه القارئ نبأ)، صاحبة عزم كبير (ولكن الكثير من السلف كان العزم هو طبعهم)

صديقتها Rafiki Yake : كريستينا. ٢٠ عاماً. فتاة عصرية ولكن السنين علمتها شيئاً. ولذلك "تطورها" من حيث الزي لم يصل إلى ما وصلت إليه تاتو، فهي ترتدي الفستان ولكنه المحتشم، وإن كان هذا بالنسبة للنشئ تخلفاً. وهي بطبعها هادئة.

رفيقها Rafiki Wa Kiume : سوائي. ١٩ - ٢١ عاماً. ابن اليوم وصاحب أفكار عصرية. "تقدم" للغاية في الزي لكنه تأخر في الدراسة فرسب في الثانوية. يرتدي الجيننز المكوي كويّاً ثقيلًا ويحلق حلقة الكابوريا. ليس سيئاً بالسليقة ولكنه من أمثال شباب اليوم الذين يعيشون بيننا وليس لهم من هموم فكرنا نصيب.

رفيقة سوائي Rafiki Wa Swai : ١٥ - ١٨ عاماً. جميلة للغاية حباها الله كل شيء - حتى أزواج صديقاتها. لكن ليس ذنبها أن "يحبها" الأزواج -!

- سيدة ١، ٢، ٣، ٤ Bibi 1,2,3,4 : ٤٣ - ٥٠ عاماً إنهن متعاطفات
 للغاية مع جيرانهن. فإذا أصيب أحد
 بأي سوء في حينه يسرعن
 لمواساته. فالجيران "إخوة" لا بد من
 "التعاون" ونشر الأخبار فيما بينهم.
 وها هي مهمتهم الكبرى.
- المكان Mahali : هذه الأحداث وقعت في إحدى مدن
 الساحل. يمكن أن تكون دار السلام
 أو تنجا أو باجامويو.
- الزمن Wakati : هو ما نحن فيه.

مشهد ١

المكان صالة استقبال في منزل السيد/ جمعة. وفيها كنبه على الجانب الأيسر من خشبة المسرح والتي إذا جلست عليها تجعلك تشعر وكأنها محشوة من الأحجار، وهناك كرسي عادي بالقرب من طاولة، وعلى الطاولة إبريق ماء وكأس ومذايع. وعلى الجانب الأعلى اليساري لخشبة المسرح باب يؤدي إلى فناء. وعليه ستارة.

وأسفل خشبة المسرح من اليمين باب للخروج. وعند فتح الستار تظهر والدة تاتو وهي تجدل الخوص، متجهة صوب باب الخروج. وباب الدخول هناك على يمينها.

أم تاتو : (تنظر إليها مستاءة. تقول وهي تجدل الخوص) هيه. فستانك هذا ازداد قصراً. ولا يمكن أن تسيرى عارية

هكذا. قصير، قصير، مجسد إياك، مجسدك. فعلاً ماذا
سيقال عنك؟ أوربية قح!

تاتو : أماء كل الشابات يرتدين هكذا هذه الأيام (تتبرم)

الأم : هيه. هيا إن ما نملكه هو النظر فقط فأنت لم تعودى
تسمعين. لقد أصبحت بالغة، ولا أستطيع ضربك. إذاً
فافعلى ما بدا لك (صمت)

تاتو : أمى (بخوف إلى حد ما)

الأم : قولى، أسمعك.

تاتو : إحم. أريد إذنًا للذهاب إلى السينما

الأم : أى سينما؟

تاتو : إمبريس

الأم : أليس بعد؟ فالיום أولاً هو الجمعة؛

"عرض السيدات" يوم الأحد

تاتو : أريد الذهاب اليوم مساء.

الأم : منذ متى تذهبين إلى السينما مساء؟ إنك دائماً تذهبين يوم
الأحد نهاراً.

نهاراً لا أمنعك، لكن مساء لا يمكن، لا يمكن، حتى ولو
لمرة. أولاً أين هي فلوس دخولك كل يوم أحد؟ والدك
تعرفين حاله. كل يوم هنا يشتكى من كثرة الضرائب.
وأنت تسمعينه.

ضريبة الرأس، ضريبة الأرجل، ضريبة الشيخوخة،
ضريبة الدخل، ضريبة العمل، ضرائب، ضرائب، يا
للهول ! وأنت تريدان السينما. الفلوس نفسها أين هي؟
تاتو : بالنسبة لى لا أريد فلوساً يا أماه. اعطنى إذنأ فقط.
سوائى سيأخذنى للسينما.

(أم تاتو تندهش. تنظر إلى تاتو. تعود لجديل خوصها)
(صمت)

تاتو : أمى، سيأتى الآن. فهل أذهب؟ (صمت)

الأم : (بهدهوء تام) وسوائى هذا من يكون(*)؟

تاتو : أحد الشباب، سوائى خميس تعرفت عليه

الأم : هل هو ذكر؟

تاتو : (تومئ برأسها إيجاباً)

(*) قواعد اللغة السواحلية في كل هذا من حيث التذكير والتأنيث حيادية إذ يمكن أن يذهب
الكلام للمذكر والمؤنث. (المترجم)

الأم : وهو يأخذك إلى السينما- ولماذا هو يدفع لك للسينما؟
(صمت)

كيف يعرفك؟ أبوك؟ أو من؟ (تترك الجديل)

الأم : (بصوت عال) أجيبيني ! هل فكرت فى سبب تحمله كل
هذه المتاعب فى أخذه لك للسينما، أم لا؟ أنت شابة
ناضجة الآن، ألا تستطيعين التفكير فى هذا؟

تاتو : أماه لو كان هناك أى سوء منه ما طلبت الإذن. سوائى
رفيق فقط؟

الأم : لا توجد مرافقة بين ذكر وأنثى بالغين، ولو قيد أنملة.
كذب. فلا تخدعينا. أم أنك تريننى غبية للغاية، أم ماذا؟

تاتو : أماه (بصوت استجداء) هذه الأيام كل البنات يذهبن مع
رفقائهن للتنزه، ليس بالشئ الغريب.

الأم : أليست التقاليد الغربية! إنه التقليد الأعمى للغرب. ونحن
لسنا بغربيين. الغربى والإفريقى مختلفان. تقاليدنا
مختلفة. هم ليس عندهم الحياء فذهابها مع هذا الرجل
وذلك الرجل أمر ممكن لها ولا غرابة فيه.

الأم : (تستمر) فما هو حالهم وما هو ما تربوا عليه. أما
بالنسبة لنا فهو أمر غريب فلا تظنى أنى أكرهك أو
أبغضك. وإنما إذا ذهبت أنت اليوم مع سوائى فالعيون

تتبعك والألسن تنهشك. وغداً مع موسى، واليوم التالي
مع سعيد، والناس يرقبونك حتى وإن كان كما تقولين إنه
مجرد رفيق. إننا بموروثنا نحن الأفارقة لن نفكر هكذا.
فستحطمين سمعتك هباء.

تاتو : لا أكثرث وما يفكر فيه الناس.

الأم : أنا أكثرث- لا أريد العيب أنا. ما تفعلينه أنت ليس مشيناً لك
فقط، بل للجميع، لي، ولأبيك، والعشيرة بأكملها. أنا رباني
والدي، ولما بلغت أعطيتني زوجاً لم أعرفه ولم يعرفني،
لكن حتى الآن نعيش بالتى هي أحسن. وأنا سأفعل لك نفس
الشيء. حتى أعطيك بيتك وبعدها يكون الأمر أمرك. إذا
كان سوائى هذا يحبك فدعيه يأتى خاطباً.

تاتو : لكن أماء الزمن تغير الآ..

الأم : (بصوت حاد) لا أريد أن أسمع. إذا أتى هنا.. هذا الذى
لا يسمي، فأخبريه أنك لا تستطيعين الذهاب. (بحدية)
ومرة أخرى أقول لك الحق. حيث إننى أرى رأسك
يركبك الآن. تستطيعين معارضتي. ما تربينا عليه نحن
ألا نعارض كبيرنا. إذا اليوم ممنوع الخروج. وأحذرك
أن أرى لك قدماً تخطو.

تاتو : (تتمتم) أما أنا فساذهب يا أماء.

الأم : تاتو أقول لك، ثم أقول لك إياك!

هودى هودي(*) (من الخارج) لا تعرفيني. أنت ورجلك
هذا سأطردكما جميعاً من هنا إذا ركبك غرورك.

الأم : مَنْ؟

سوائى : (من الخارج) أنا سوائى هل تاتو موجودة؟

الأم : ليست موجودة

تاتو : أنا موجودة، تفضل!

الأم : (بصوت خافت لكنه حاد)

أنا أقول لك إذا خرجت معه فلا تعودى لهذا المنزل.

سوائى : (يدخل) هودى ثانية.

تحية تقدير يا أماء.

الأم : مرحباً. تاتو لا تستطيع الذهاب للسينما لديها عمل.

سوائى : لكن، قالت لى ...

(*) هذا مصطلح للاستئناس قبل دخول البيوت في البيئة السواحلية ويساوي في اللغة العربية: يا أهل البيت / يا ستار.

الأم : عجباً ! أنت لا تتبع ما قالت له لك. أنا التي أقول لك أنها لا تذهب. إلى اللقاء (تفتح له الباب)

تاتو : أماه لا يمكنك طرد ضيفي هكذا.

الأم : لا يمكنني! ماذا تقولين لي؟ لا أستطيع؟ (تمسك بقميص سوائى من الخلف) اخرج، اخرج، اخرج. سأريك إذا ما لو كنت أستطيع أم لا.

تاتو : (تاتو تتدخل ماسكة الأم) أماه !

الأم : يا للمصيبة ! تريدين التشاجر معي الآن!

تاتو : أنا لا أتشاجر معك، لكن ليس من الحق طرد الضيف.

الأم : يا منكرة الجميل، أنت قليلة الأدب فاخرجي

اخرجاء، اخرجاء. كليكما لا أريد رؤيتكما- (تطردهما، وتدفع تاتو) اخرجي، ولا تعودى ثانية- لا أريد رؤيتك أمامي.

(تحمل خوصها وتستعدله) (صمت)

الأولاد ليسوا بالأولاد. لا يخشون الكبار.

والله لعدم الإنجاب والشكر لله أفضل من إنجاب فتاة كهذه.

(تغلق الباب بغضب. تتمتم) يا للعجب لماذا؟

الأب : (يدخل؛ يسمع عائشة تتمتم)

ماذا؟ يا للدهشة أتحديث مع نفسك !

- الأم : ولم لا، أليس هؤلاء أولادكم هؤلاء الذين لا يستجيبون.
- الأب : أولاد؟
- الأم : البنت- ابنتك هذه. البنت غير مؤدبة غير محترمة.
- فالיום قمت بطردها من هذا البيت دعها تضيع هناك.
- الأب : هل تعنى أن.. إيه.. لم أفهم بعد.
- أنت.. آه. قمت بطرد تاتو، بمعنى ألا تأتي هنا ثانية؟
- الأم : أجل لا أريد لعيناي رؤيتها ثانية؛ أنا ليس لى بنت.
- الأب : الآن قمت بطردها (وهنا يرتفع صوته) أين برأيك تكون قد ذهبت؟ توقفى عن هذا العمل الذى تعملينه (تأخذ الخوص الذى كانت تجدله وترمى به) أجيبيني. وما الكبيرة التى ارتكبتها حتى تطردها من هنا؟ قولى.
- الأم : ابنتك أهاننتى وأوشكت على ضربى هنا.
- الأب : مستحيل، مستحيل، تاتو لا يمكن أن تهينك أنت.
- الأم : لا يمكنها، لكن اليوم أمكنها .
- الأب : ماذا قالت؟
- الأم : ماذا قالت! اسأل ماذا فعلت؟

- الأب : الآن لا تقولين.
- الأم : ان ابنتك اليوم أحضرت لى رجلها هنا هنا داخل البيت.
- الأب : رجل؟
- الأم : رجل وسيدة تأخذه من هنالك تاتا تاتا حتى هنا. فإذا كان هذا ليست إهانة فما الإهانة إذا؟ والبلوى أنها بعد ذلك تطلب الإنن بالخروج معه إلى السينما. فهل تظن أن وجهى أنا حديد، ليس به حياء؟ ما ظنك بالناس هنا فى المدينة يقولون؟
- الأب : فعلاً العقل زينة. والآن بطردها من هنا لن يمسك العار؟ ما أدراك لو ذهبت إلى البارات تعمل فيها، والتقت هنالك مع المتسكعين أليس فى ذلك عار عليك؟ أم أن هذا العار الذى سيلحقك يكمن فقط فى ذهابها إلى السينما مع رفيق لها؟
- الأم : يعنى أنت الآن كنت تفضل أن أعطيها إذنأ بالذهاب مع سوائى وموسى وسعيد- وأن يأتوا يأخذونها فقط!
- الأب : كلا، لم أقل هذا. لم أقل كان عليك تركها تذهب معه، لكن كان عليك ألا تطردها من البيت (صمت) يا زوجتى (يشرح لها) إن هذا النوع من المسائل لا يحتاج لغضب- وإنما لبصيرة وسياسة. فالعرب حكمونا نحن، ونحن اتبعنا عاداتهم وتقاليدهم.

فانظري إلى إننى أرتدى الطاقية والجلباب، فهل لأن جدى
أنا كان بطاقية وجلباب- أو لأن أصالك أنت، أو نساء
وطنك، كن يرتدين الحجاب أو وكلى ثقة أنك لو شرحت
لتأتو بتأن لتفهمت.

ومن هنا سنفقد أولادنا. فما علينا هو أن نجتهد ونرعاهم
بقدر ما نستطيع. وأن نكون حازمين ولكن إذا وجدنا أن
الحبل أوشك على الانقطاع نرقيه الخمار؟ نحن لسنا
كأجدادنا. وكذلك الأمر الآن بالنسبة لأولادنا. إنهم
يدرسون دراسة أوروبية، ولبسهم لباساً أوروبياً، ويذهبون
إلى مدارس للدراسة الأوروبية- فسيفلدون الأوربيين فى
القول والملبس والعادات وحتى الطبع. ما نراه نحن سيئاً
يروونه هم حسناً. ليس هناك من شخص يمكنه مصارعة
الزمن. فالزمن جدار، إذا ما تصارعت معه ستؤذى
نفسك. فتخاصمنا مع أولادنا لا جدوى منه.

الأم : الآن أنا قد أخطأت؛ أليس كذلك؟

الأب : إنك لم تخطئى يا زوجتى فى منعها. وتأتو لم تخطئى

الأم : وماذا بعد؟

الأب : إنه الزمن فقط. الزمن ليس مناسباً. (يبدو بأفكار كبيرة) إن

تأتو قد درست الكتب الأوربية، وقد رأت أن الفتاة والفتى
يتنزهان ويذهبان إلى حانات الرقص أو السينما. (صمت)
يتحابان وفي النهاية يتزوجان. ليس تأتو فحسب وإنما كل
من فى مقامها من الشباب. هم يريدون تقليد ذلك. ووقت
فعل ذلك سيأتى، لكن الوقت الآن لم يحن بعد. الآن هى
بارادتها أن تكون من أوائل من يفعل ذلك تتناطح مع
الزمن. تريده أن يأتى سريعاً ونحن نتناطح معه نريده ألا
يأت. وهنا يكمن خصامنا.

الأب : قالاً ذاهبان لأى سينما؟

الأم : إمبريس. وستعود بنفسها

الأب : بعدما حدث ما حدث لا أعتقد أنهما ذهبا إلى السينما وطبقاً
لما أعرفه عن تأتو وحماتها فإنها لن تعود هنا. مسكينة
للغاية، لن تعود هنا.

الأم : أين ستذهب؟

الأب : لا أعرف- (صمت) أنا ذاهب للبحث عنها.

الستار

مشهد ٢

المكان هو هو. عند فتح الستار
يظهر السيد/ جمعة مرتدياً فائلة بأكمام
ورداء. الرأس عارية، جالساً على
كرسى وقد استلقى بنفسه عليه،
وغارقاً في التفكير. ينظر إلى الساعة.
ينهض يفتح المذياع الموجود فوق
المائدة. ومن المذياع نسمع لحن تقديم
نشرة الأخبار (دوم دوم دوم.. دوم)
وصوتا يقول: الساعة الآن تمام الثامنة.
وإليكُم نشرة الأخبار اليوم يقرأها
عليكم سليمان هيجا.

الصين- السيد/ تشو إن لاي
رئيس وزراء الصين شجب الممارسات
الأمريكية وسياستها في فيتنام الجنوبية.
رئيس زامبيا السيد / كاوندال قال اليوم
لابد من إراقة الدماء إذا كان لحكم

سميث أن يسقط. أمريكا..

(جمعة يغلق المذيع غاضباً ويعود
إلى الكرسي. أم تاتو تقوم للدخل
وتقف على الباب، تمسك الستار)

الأم : الطعام جاهز سيدي. فهل نضعه الآن؟

الأب : (يلتفت بهدوء ينظر إليها)

لكن هل حقاً ما تقولين - عجباً !

أتظنين أن هذا الطعام يمكن ابتلاعه؟

ذهبت إلى جداتها وعماتها وإلى جميع الأقرباء فلم
يرها منهم أحد.

فكيف يمكن لإنسان أن يأكل والحال هكذا؟

على أي نحو؟ (صوته يعلو) تاتو اليوم هو الثاني -
طوال ليلة أمس وطوال نهار اليوم وحتى هذه
اللحظة لا نعرف أين هي: ذهبت إلى جداتها وعماتها
وإلى جميع الأقرباء فلم يرها منهم أحد.

فكيف يمكن لإنسان أن يأكل والحال هكذا؟

الأم : إذا ماذا سنفعل، وقد فعلنا كل ما نستطيع، ولم نجدها.
فهل ستجلس الآن هكذا دون طعام وحتى متى؟ إذا
ستموت جوعاً !! (صمت)

الأب : إن هذا لبلاء- وإن كل ما أردته أنت- (كو، كو،

كو)- هودى (صوت قادم من الخارج)

الأب : تفضل- (يطلب من زوجته أن تدخل لقدم أشخاص)

تفضل- (يرتدى الجلباب سريعاً سريعاً ويهرول إلى

الباب وهو يرتدى الطاقية) تفضل- (يفتح الباب) يا

للمفاجأة (يرى كريستينا) تفضلى.

كريستينا : تحية تقدير !

الأب : مرحباً، مرحباً، ادخلى.

كريستينا : هل هذا منزل السيد/ جمعة؟

الأب : نعم بالضبط وها أنذا السيد/ جمعة- إذا ادخلى اجلسى

على الكرسي- ومعذرة إذا كانت الكراسى مجرد

هياكل للكراسى- ولكن ...

كريستينا : هذا يكفى أيها المحترم. إننى لا أعرف كيف أبدأ حيث..

الأب : ابدأى فقط- فقط ابدأى- لا تخافى وتحدثى فقط.

كريستينا : أنا صديقة تاتو..

الأب : (يظهر شغفاً كبيراً لمعرفة المزيد ويقول سريعاً سريعاً)
تأتو؟- أين هي؟ (ينادى على زوجته) يا أم تأتو-
تعال- هيا واصلى أين تركتها.. أين هي؟ (ينهض
يذهب للباب ويخرج) هل هي تخاف من الدخول؟ لا
نضربها (يفتح الباب وينادى) تأتو، تأتو- أين هي؟
كريستينا : (صمت. يعود. أم تأتو ظهرت عند باب الدخول بهدوء
وقد وقفت بالقرب من كرسي- وفى يدها طبق)

الأب : عجباً إنها غير موجودة (يسأل كريستينا)

كريستينا : إننى لم أقل أنها موجودة بالخارج.

الأب : عجباً إنها غير موجودة (يسأل كريستينا)

كريستينا : لحظة.

الأب : الآن ماذا تنتظرين؟ إنك لو عرفت كيف بحثنا عنها،
وطوال ليلة أمس لم ننم، واليوم لم أذهب حتى للسوق
للتجارة. ولم نر النوم ولم ينزل لبطوننا طعام. أعتقد
أنها طلبت منك ألا تخبرينا عن مكانها- لكن يجب أن
تفهمي أننا والداها

- كريستينا : إنها قالت لى أنكم طرردتموها عندما أتت عندى للنوم.
- الأم : نطرد من؟ هل هناك من والد يطرد ابنته؟
- (جمعة ينظر لفترة قصيرة إلى زوجته التى تخفض
وجهها وتتنظر إلى الأسفل خجلاً)
- الأب : انظرى يا سيدة... إيه... أنت...
- كريستينا : أنا كريستينا.
- الأب : كريستينا، أنت مولودة ولك والدان.
- كريستينا : من حيث الولادة فقد ولدت، ولكن بالنسبة للوالدين فلا أملك.
- الأب : عجباً! الآن أى نوع للغة السواحلية هذا.
- كريستينا : ووالدى هناك فى موشى. أنا أتيت هنا للعمل فقط
أعنى أننى هنا أعيش بمفردى
- الأب : لكن هناك فى موشى أليس لك والدان - أب ؟ وأم ؟
- كريستينا : بلى
- الأب : إذاً هذا ما يعنى أن لك والدين أيضاً
- انظرى يا سيدة كريستينا إلينا نحن الوالدين، إن كل ما
يريده ابننا لا يمكن أن نوافق عليه بون نقاش. لا يمكن
تحقيق ذلك. لا يمكن كل ما يريده يتحقق، فإذا قال كن

فيكون. لماذا؟- كي لا نؤذيه ويصبح ابناً هشاً مدلاً!
ففي كل يوم وفي كل البيوت هناك أبناء يُزجرون من
والديهم، حتى إذا استدعى الأمر الضرب فيضربون،
ونحن أيضاً نفس الشيء. أمها نهتها عن أمر مثلما يُنهون
الأبناء جميعاً. وليس أنها طردتها. وحتى لو ذكرت الطرد
فإنما كان ذلك من الغضب فقط ولم يكن المقصود على
الإطلاق هو الطرد في حقيقته. فبرجاء وأكرر الرجاء
أخبرينا أين هي فنحملها على العودة إلى المنزل.

كريستينا : لا أظن أنها ستعود هنا مرة ثانية.

الأب : لماذا؟

كريستينا : سوائى وتأتو تزوجا اليوم

الأب : تزوجا!

(أم تاتو انفلت منها الطبق وسقط على الأرض.
تتحسس الكرسي بأصابع يدها المرتعشة. تجلس
على مهل. وجهها يبدو وكأنه أصيب تماماً بالشلل.

كريستينا نهضت تنظر أم تاتو)

أم تاتو : (يذهب إليها) عائشة

(يمسكها من كتفها ويهزها)

الأب :

الأب : أم تاتو.. عائشة (أم تاتو تميل برأسها فوق يد جمعة وتبكي بصوت مكتوم. جمعة يهلوع يسحب يده من تحت رأسها. أم تاتو تميل على الكرسي- وتحاول مسح الدموع)

الأب : الأفضل أن تستريحى بالداخل- (يأخذ بها إلى الداخل. جمعة يعود ويسحب كرسيه بالقرب من كريستينا)

الأب : تاتو وسوائى تزوجا اليوم- هذا هو ما قلته - أم..

كريستينا : هذا هو ما قلته. (صمت)

الأب : هذا التزوج كيف كان- من أصدر الإذن به؟

كريستينا : تزوجا لدى رئيس الحى.

الأب : يا للفاجعة! (ينهض) لقد أصبحت المصيبة مصيبتين: هروب الابنة من البيت، وزواجها بدون ولى.

كريستينا : البنت أيضاً إنسان، وأنا هنا لا أخرجك، لكن أنتم هنا على الساحل تجعلون الأولاد كالممتاع وخاصة البنات. فالبنت تمحونها وتحجبونها. إذا أرادت الذهاب لمكان، ممنوع عليها أن تذهب، إذا أرادت أن تفعل شيئاً لا يسمح لها. حتى الزوج أنتم الذين تختارونه لها. بنات اليوم يتضايقن من ذلك.

الأب : نحن أميون، لم نتعلم لكن لسنا جهلاء. هذه الأمور كانت في الحقيقة موجودة قديماً إلا أنها تتلاشى. فالأمور هذه لا تموت في يوم وليلة ولا في سنة واحدة. نحن وإن كنا متخلفين لكن لسنا كما تظنين- فسوائي هذا لو أنه جاء يخطبها منا لزوجناه إياها. لكن ذلك الذي فعله أهاننا جميعاً. وأنتم يا أهل الجبل(*) لا يمكنكم فهم هذا.

كريستينا : ولذلك وجدا من الأفضل...

لكن سوائي قال إنه ما كان يتلقى قبولاً، لأنه لا يمتلك شيئاً ثم إنه من أهل نجد البلاد(**).

الأب : وجدا، وجدا، وجدا ماذا؟ هل خطبها ورُفض؟ إنها مجرد تخمينات

لو كان خطبها ورُفض كان له أن يتكلم.

كريستينا : عجباً لماذا... يا للدهشة! كذلك أنا ظننت. هو أخبرني...

(*) أهل الجبل فيه إشارة للرجل الأبيض المستعمر إذ إن الأوروبيين المستعمرين لإفريقيا كانوا يفضلون الأماكن المرتفعة لسكنائهم (المترجم).

(**) أهل نجد البلاد؛ فيه إشارة لأهل مناطق التأثير الكبير بالاستعمار الأوروبي في العادات والتقاليد والعقائد، بخلاف أهل السواحل. الذين هم أصلاً أهل حضارة وثقافة إسلامية وعقيدة

الأب : هذا هو العجب، فليس هناك من مغزى للقول. لقد قضى الأمر، فلنهدأ الآن فقط. ماذا علينا فعله؟ لكن عليها أن تعلم أن ما فعلته في والدتها ليس بالأمر الجيد. بالنسبة لى لا يضر. لكن والدتها الآن ستخشى الذهاب للمناسبات- إذ إن تاتو سوّدت وجهها تسويداً. فلا يمكنها ثانية رفع وجهها في المناسبات خاصة في الأفراح. وهذه. والله لا أعرف ماذا أقول...

ما الذى يهرولان إليه في هذا الزواج؟
هل يعتقدان أن الزواج ليس بالأمر الجلل؟ هيا. إذا بكى طفلك على السكين فأعطه إياه^(*). سوائى هذا ما هو عمله؟

كريستينا : إنه باشكاتب. راسب ثانوية بدأ العمل قبل العام الماضى.

الأب : ماذا أقول! هيا

كريستينا : أيها العم أنا متأسفة للغاية ثم أصارحك تماماً بأننى ما كنت أعلم أن الأمور على هذا النحو. ما قالاه لى أمر مختلف- فى الحقيقة لم يطلبنا منى أن أجيء. بل إنهما نهيانى لكنى رأيت أنكما ستتشغلان للغاية.

(*) هذا مثل سواحلى. (المترجم)

الأب : فعلاً وهذا ليس ذنبك. هل مازلت لا تريدان إخباري
بمكانهما؟ انظري اليوم هناك زواج، وغداً هناك
طلاق. فإذا وقع الحدث فأين ستذهب تاتو؟ لذلك طلبى
هو أن تقولى لها فقط أن المكان هنا مكانها وأن هذا
بيتها. وأنه مهما حدث وما يمكن أن يحدث فإننا
والداها. ومهما فعلت بنا من إهانة وكراهية ورمى
"فإن الدم أثقل من الماء" (**). فهي مهما فعلت - فإنها
ابنتنا ابنتنا لا تتغير. فبرجاء أن تخبريها هذه الرسالة.

كريستينا : سأخبرها.

الأب : إذا كانت فى ضيق فلا تتردد عن الإتيان، فهي ابنتنا
ومازلنا نريدها.

كريستينا : سأخبرها يا عم (تنهض وتغادر) هيا إلى اللقاء.

الأب : تفضلى.

(يغلق الباب ويأتى وسط الحجرة - يغطى وجهه بيده.
ويطفئ المصباح، وهنا يقف هادئاً)

(**) هذه حكمة سواحلية. (المترجم)

مشهد ٣

عند فتح الستار لا يتواجد أحد
على خشبة المسرح.

هودى(*) - (من الخارج) هودى
هودى ... (يفتح الباب) يا أم تاتو...

الأم : (تبرز على الباب) تفضلي. (لكنها تظن لو غادرت)

سيدة ١ : ما الأخبار

الأم : على ما يرام - تفضلي

سيدة ١ : آه حتى لا أطيل . (تجلس) وجدت نفسي أمر فقط.

ذاهبة إلى حال سبيلي، لكن الظمأ غلبني فقلت - آه على
بأم تاتو لأشرب الماء فوراً. فالبيت بيت أهلنا - حقا حقا

(السيدة أم تاتو تذهب لإحضار الماء من الإبريق)

سيدة ١ : آه لم لم تتأدى على تاتو فتأتى لى بذلك

(أم تاتو وقفت صامتة)

لديك شابة فعلام هذا التعب؟

(*) كلمة الاستئناس بمعنى: يا أهل البيت / يا ستار

- الأم : تفضلي الماء.
- سيدة ١ : (تأخذ منها الماء ولكنها لا تشربه) أو اصل قبل أن أنسى - عندي سلامات لتاتو - أريد أن أهديها إياها ولا أعرف...
- الأم : هل تريدين صودا-
- سيدة ١ : لا - لا - كنت أسألك شيئاً - آه ما هو؟ آه تذكرت، بالنسبة لتاتو صحيح...
- (هودى هودى) (**) (ما أن تستدير أم تاتو بظهرها إلا وتضع سيدة ١ كوب الماء على الأرض دون أن تشرب)
- الأم : تفضلي.
- سيدة ٢ : (دخلت) شكراً
- الأم : تفضلي، تفضلي، اجلسي.
- سيدة ٢ : كنت فقط مارة. فقلت أن الكثير من الأيام فانت دون أن أرى هذه السيدة - والجيران لا بد أن يمروا على بعضهم البعض...

(**) قادم جديد على الباب (المترجم)

- الأم : لكن ألم نتقابل أول أمس كذلك
- سيدة ٢ : صحيح كان أول أمس - (تخجل من أنها انكشفت)
هودى هودى (*) .
- الأم : تفضلى .
- سيدة ٣، ٤ : (سيدتان تدخلان. وكلهن يتعرفن على بعضهن البعض)
- سيدة ٣ : هيه، مصادفة نحن هنا ألم - نكن ...
سويا فى الفرح؟
- سيدة ٤ : كيف حالك يا أم تاتو؟
- الأم : بخير
- سيدة ٤ : الصبر الصبر .
- سيدة ٢، ١ : الصبر؟ (سوياً)
- سيدة ٤ : على ماذا؟ (تدعى أنها لا تعرف)
- سيدة ٣ : آه سيدتى لا تدعى أنك لم تسمعى - ما كان يقوله
الجميع فى الفرح.

(*) قادم جديد على الباب (المترجم)

- سيدة ١ : عجباً لم أسمع شيئاً (تبدى بوضوح أنها خائفة)
- سيدة ٢ : حتى أنا يا سيدة ٣ (ويبدو عليها الكذب)
- سيدة ٤ : هيا صلوا على النبي يا جماعة.
- سيدة ١ : لماذا أخفي؟ لو كنت أعلم - لتحدثت فوراً.
- سيدة ٣ : الأمر هو أن تاتو هربت من أمها.
- سيدة ١ : يا للفاجعة (تنصدم) مستحيل - وأين ذهبت؟
- سيدة ٤ : فرت مع رجلها.
- سيدة ٣ : يا للإهانة - هيا.
- سيدة ٣ : إننى أسمع، لكنهما تزوجا عن طريق رئيس الحي.
- سيدة ١ : هيا يا جماعة - إنها لمصائب !
- سيدة ٢ : مصائب، مصائب.
- سيدة ٣ : أبناء العصر.
- سيدة ٤ : هؤلاء الأبناء يا سيدتى... أبناء مصائب
من الأفضل فقد الأولاد...

(الستار ينزل وهم يقولون ذلك)

مشهد ٤

(الوقت - بعد ثلاثة أشهر).

حجرة عادية - فيها سرير، ودولاب
معدني، ومائدة مستديرة وسط الحجرة
وكرسي.

عندما تفتح الستار تاتو ترتب
السرير وتسوى الأثاث،

الباب يفتح، سوائي يدخل بوجه
طليق. تاتو تفرد ملاية السرير فرداً -
ولم تنته بعد من الترتيب. سوائي يرمى
بنفسه على السرير.

تاتو : ماذا بك! آه.

سوائي : هيا اضحكي قليلاً.

تاتو : علام أضحك! أن صديقتك تقوم الآن بالترتيب وأنت تفسد.

سوائي : إذا ضحكت سأقوم.

- تاتسو : (تتحسس سوائى ليقوم)
- سوائى : اليوم، البسى فستانك الجميل، فسندذهب لرقصة الرومبا
(يرقص رقصه الرومبا)
- تاتسو : والفلوس نفسها أين هى؟
- سوائى : أنت نسيت- نهاية الشهر اليوم.
(يستمر فى الرقص)
(صمت. تاتو مستمرة فى الترتيب)
لماذا تتعجبين هكذا؟
هل لا تحبين الرقص؟
- تاتسو : ليس أننى لا أحب.
- سوائى : ولكن؟
- تاتسو : لا نستطيع الذهاب. فلوس الناس لم ندفعها بعد. علينا ديون ثقيلة للغاية.
- سوائى : سندفعها فى شهر آخر.
- تاتسو : نفس الشئ أنت قلتة الشهر الماضى.
ذلك الحضرمى يأتى هنا وأنت تختبئ.
وإيجار السكن- والإضاءة- والماء.

وبالأمس عندما ذهبت قال لى إذا لم ندفع هذا الشهر لن يعطينا مرة أخرى الطعام. فالآن ما هو الأفضل الطعام أم الرقص.

سوائى : آه هذا عذاب مرة أخرى- أكل نوم، وأكل نوم- حتى أصبحت الحياة لاتطاق. فى الماضى كنت أقيم براحتى فى السينما والرقص لكن الآن من العمل إلى البيت ومن البيت إلى العمل. ولا شيء على الإطلاق يسعد الإنسان به نفسه. نادم.

تاتو : علام الندم؟
(صمت)

قل ما أنت نادم عليه. وإلا فلماذا تزوجتني إذا كنت نادماً؟

سوائى : من الذى ذكر موضوع الزواج هنا؟

تاتو : أليس أنت- الذى قلت أنك نادم.

سوائى : لم أقل ذلك.

تاتو : لقد قلت.

سوائى : لم أقل ذلك، وحتى لو قلت ماذا سيكون؟

تاتو : إذاً هيا قل ما تريده.

سوائى : وها أنذا أقولها الآن - أنا نادم.

من ذا الذى يطيق مثل هذه الحياة؟

تاتو : إذا لماذا تزوجتتى؟

سوائى : تزوجتك شفقة عليك فقط. فوالداك طرداك من البيت -

(هذه المقولة كانت طعنة لتاتو واغرورقت عيناها

بالدموع، ولكنها لم تسمح للدموع أن تنزل. صمت)

سوائى : (بهذوء) إننى أقول أننى لم أقصد - وأقسم أن هذه

الكلمة خرجت منى عفواً

(يأتى من الخلف ويمسك كتفها)

تاتو - أنا متأسف - مرة أخرى أقسم.

سامحني فما قلته ليس حقاً. (تاتو برفق ترفع وجهها

وتمسح دمعها بيدها. سوائى يعطيها منديلاً)

(صمت)

(حيرة)

(يلطفها)

سوائى : طيب خذى هذه الفلسوس واعطها للحضرمى -

كم مقدارها هى؟

(بعد فترة)

تاتو : مائة وعشر. وإيجار السكن خمسون

(سوائى يعطيها وما تبقى يريد إدخاله فى جيبه)

والإضاءة والماء عشرون (سوائى ينظر إليها)

لكنه يعطيها. ويريد إدخال الباقي فى جيبه

وأنا أريد عشرين لشراء بعض الفطائر للصباح-

(يعطيها ويتبقى معه عشرة ينظر إليها)

تاتو : يا لآخر الشهر!- (تحدث نفسها. تاتو تضع النقود فى

المحفظة وتبحث عن رابطة تربط بها شعرها، وتنتعل

(الحذاء)

تاتو : أنا الآن ذاهبة.

سوائى : وهو كذلك.

تاتو : وكما قلت لك فسأصل لرؤية حميدة وسأتأخر.

سوائى : طيب.

(تاتو تغادر. سوائى يبدو غرقاناً فى الفكر وليس سعيداً.

بعد فترة قصيرة،... هودى^(*)... هودى^(*)... (من الخارج)

(*) لفظ الاستئناس يقوله القادم من الخارج ويريد دخول البيت (المترجم)

سوائى : تفضلى، ادخلى فقط، الباب ليس مغلقاً.

(يرى بيلى فى ثياب جميل) يا سلام!

بيلى تفضلى، تفضلى، لم أفكر أنك عجباً أنك
عرفت كيفية الإتيان هنا.

اجلسى- فهذه هو المكان،

إيه إيه، كما ترين.

بيلى : مكان جيد فقط.

سوائى : قولك جيد فليس بجيد. كيف حال الأيام الكثيرة.

بيلى : على ما يرام فقط. أتيت لرؤية العريس والعروسة

(تظهر حياء وحرماً)

بيلى : هل العريس بخير؟ (باستهزاء كأنها تضحك عليه)

سوائى : توقفى عن الاستهزاء بى.

بيلى : آه هل استهزأ بك؟ ألم تتزوج.

ثم عندك الجو الذى أحبيته

سوائى : وهل أغضبتك فى شىء؟

بيلى : أغضببتى؟ لماذا؟

سوائى : ربما تفكرين أننى كنت أخدعك

(يحاول مسكها، بيلى تفلت)

بيلى : ثم ما هذا الذى تفعله؟ أنا هنا الغيبة عندك تقوم بخداعى لكن فى الواقع... تحب الست...

سوائى : هذا ليس حقاً... أنت تعرفين أننى فى الحقيقة أحبك أنت.

بيلى : ها- ها- ها (الباب ينفتح. تاتو وكريستينا تدخلان. سوائى وبيلى بسبب نظرهما للجانب الآخر لم يلحظاهما)

لا تضحك على يا سيدى بأنك تحبنى أنا وعندك الست تاتو.

سوائى : انظرى... أنا لا أنكر أننى تزوجت تاتو، لكن ... أنت تعرفين لم تفكر فى ذلك. فوالداها عندما طرداها من البيت فى غضب تزوجنا. أيضاً ظننت أننى أحبها، لكن بعد هذه شهور الثلاثة الضئيلة اكتشفت أننى (يتبع بيلى، يريد المسك بها. بيلى تجرى منه)

بيلى : آه هيا، ها! ها! ها!

(يلحظان تاتو وكريستينا. والكل ينظر إلى بعضه البعض - واقفين صامتين. تاتو تنظر إلى زوجها وتغورق عيناها بالدموع. كريستينا تمسك بها. سوائى يبدو أنه يريد التحدث لكنه لا يعرف ماذا يقول)

ظلام

مشهد ٥

عند إضاءة الأنوار نرى تاتو جالسة
فوق حافة السرير وأصابعها متشابكة
وتعبس في يديها. لا فرحة لها بل فكر
وندم. سوائي ينظر إلى الجانب الآخر.
يتمشى هنا وهناك. ينظر إليها مرة أو
مرتين؛ لكن تاتو عندما ينظر إليها تدير
وجهها إلى الناحية الأخرى.

(صمت)

تاتو : إحم.

سوائي : (بسرعة) نعم؟

تاتو : (تهز رأسها) لم أقل شيئاً ...

سوائي : ظننت أنك قلت شيئاً.

(صمت)

تاتو : (تقول دون أن ترفع وجهها) سوائي.

- سوائى : نعم. (بلطف)
- تاتو : أرى... أنا أرى (بهدوء)...
- إنه من الأفضل أن تطلقنى.
- سوائى : (يلتفت سريعاً) أن أطلقك؟
- تاتو : نعم. طلقنى.
- سوائى : ما هذا الكلام - أين ستذهبين؟
- تاتو : لا أعلم، ربما إلى الوالدين. إذا كانا سيعفوان عني فيما فعلته فيهما.
- سوائى : الوالدان - إنك أقسمت أنك لن تعودى.
- تاتو : كنت صغيرة. اعتقدت أنني سأستطيع الحياة بلا طلب مساعدتهما. ظننت أن... ظننت أن....
- سوائى : لكن (يذهب يجلس أمام تاتو) حتى الشهر الثالث لم يأت بعد على زواجنا، ماذا سيقول الناس؟
- أعرف سبب إرادتك العودة لأهلك، بسبب بيلى.
- قلت لك أن ذلك لن يحدث ثانية.
- طلبت منك العفو، قلت لك أنني أخطأت - الآن ماذا أفعل؟
- (تاتو لا تنظر إليه بل تنظر إلى يديها وكأنها لا تسمعه)

سوائى : حتى لا تسمعين ماذا أقول.

تاتو : أسمعك...

سوائى : الآن، لكن أن...

تاتو : سوائي... (تتظر إليه) لا يمكن أن نعيش بسعادة ثانية بعد هذا الذى حدث (تتهض تذهب إلى المائدة وتمسك كرسيًا)

سوائى : طلبت منك العفو والآن أطلبه منك ثانية- لقد أخطأت.

تاتو : ليس خطأك

سوائى : الخطأ كان خطئى وليس خطأك لكن...

تاتو : ليس خطأك... خطؤنا جميعاً- لذلك ليس هناك من مغزى أن ألومك أو أضايقك.

(صمت)

أخطأت أن تكبرت على الوالدين.

أخطأت أيضاً فى قبولى الزواج.

كان ينبغى أن نفكر قبل أن نتزوج، لكن لم نفكر. ظننا

أنه طالما يحب كل منا الآخر فإنه يكفى- لم نعرف أنه

حتى الزواج له وقته.

سوائى : الخطأ كان خطئى وليس خطأك. لكن أعاهدك أن ما حدث لن يحدث مرة أخرى، وسأبحث عن عمل أفضل- فى شركة أو سأقوم بـ....

تاتو : غير ممكن- (صمت. تاتو تربط رابطة الشعر)
أنا مغادرة سوائى.

سوائى : إلى أين؟

تاتو : إلى البيت، طالبة العفو من الوالدين؛ إذا ما تفضلا على بالرضا.
(تغادر وتمسك الباب)

سوائى : كما تحبين (صمت) أشياءك أحضرها لك؟

تاتو : لم آت بشيء، أغادر بلا شيء- (تنظر إلى سوائى)
إلى اللقاء

(سوائى يريد أن يقول شيئاً لكنه لا يعرف ماذا يقول.
يلقى بنفسه على الكرسي ووجهه بين يديه)

النهاية

المؤلفان فى سطور:

١- على الأمين المزروعى

ولد فى ١٩٣٣/٢/٢٤ فى ممبسة بدولة كينيا. تلقى تعليمه الأولى فى ممبسة. وحصل على الليسانس من جامعة مانشستر بانجلترا عام ١٩٦٠ ، وعلى الماجستير من جامعة كولومبيا بأمريكا عام ١٩٦١، وعلى الدكتوراه من جامعة أكسفورد عام ١٩٦٦ فى الدراسات الإنسانية والعلوم السياسية والإفريقية.

وعمل رئيسا لقسم العلوم السياسية بجامعة ماكريرى فى أوغندا، وعميدا لكلية الدراسات الاجتماعية فيها حتى عام ١٩٧٣. ولما نفاه عيذى أمين خارج البلاد فى ١٩٧٤ كان ذلك النفى فتح خير له.

وأبحاثه واهتماماته العلمية تشمل دراسة السياسات الإفريقية، والثقافات السياسية الدولية، والإسلام السياسي، وعلاقات الشمال والجنوب. وقد ألف فى ذلك - منفردا أو مشتركا مع آخرين- مئات الأبحاث فى الدوريات العلمية الكبرى

وللإعلام الرسمي . وعمل عضواً بهيئة التحرير لأكثر من
عشرين دورية علمية دولية.

ويتقald الرجل الآن عدة مناصب أكاديمية فى نيو يورك
وواشنطن وميتشيجان وكينيا ونيجيريا.

وحصل على جوائز من مجلس اللوردات البريطانى ومن
جمعية علماء المسلمين الاجتماعيين ببريطانيا وعلى الدكتوراه
الفخرية من عدة جامعات فى عدة دول.

وعدته مجلة السياسة الخارجية بواشنطن إثر تصويت لها
بين قرائها أنه من بين أول مائة شخصية عامة من المفكرين.

وإذا كان الدكتور المز روعى كتب مئات الأعمال فإن
الآخرين من الباحثين كتبوا عنه عشرات الأبحاث والكتب
والمقالات ونشروها فى معظم القارات وخاصة فى إفريقيا
وأمرىكا.

وهو يعيش الآن فى أمرىكا.

٢ - إبراهيم حسين:

ولد إبراهيم حسين فى مدينة ليندى Lindi التتزانىة عام ١٩٤٤م، متزوج وله ثلاثة أولاد. والده هو نور الدين حسين الشاذلى الباشرطى. كان شيخاً شاذلياً صوفياً. جده هو الشيخ حسين الباشرطى، كان صوفياً ورعاً يعلم الناس أمور دينهم، وكان معطاء متصدقاً يساعد الفقراء والمحتاجين.

التحق إبراهيم حسين بجامعة دار السلام فى تتزانيا عام ١٩٦٠م. وبعد أن تخرج منها عمل معيداً بها فى قسم الفن المسرحى. بعدها حصل على منحة دراسية للحصول على الدكتوراه من ألمانيا فى المسرح. وقد كان، إذ إنه حصل على درجة الدكتوراه فى موضوع "تطور الدراما فى شرق إفريقيا" عام ١٩٧٤م.

عاد من ألمانيا مدرساً للدراما والأدب السواحلى فى جامعة دار السلام وجامعات شرق إفريقيا، ومؤلفاً للمسرحيات والقصص والحكايات الإفريقية باللغة السواحلية. استمر هكذا حتى أواخر الثمانينات من القرن العشرين. وقبل انصرام العقد الثامن من القرن العشرين اعتذر عن التدريس بالجامعة ليتفرغ تماماً للقراءة والتأليف.

واعتكف اعتكافاً تاماً فى بيته منكباً على ما تفرغ له، لدرجة أن الزائر له فى بيته لا يرى بيته إلا مكتبة كبيرة، ولا يرى إبراهيم حسين إلا محباً لخلوته فى مكتبته هذه فانتج العشرات من المسرحيات والأعمال الأدبية. ومن أشهر مسرحياته:

- المسرحية التى بين أيدينا "حاجز الزمن".
- مسرحية "كينجيكيتيلي" عام ١٩٦٩م. وتعالج الصراع بين المستعمر الألمانى لتتجانيا قبل الاستقلال وبين القبائل الوطنية لأهل تتجانيا بقيادة كينجيكيتيلي.
- مسرحية "قد رآه" عام ١٩٧٠م. وتعالج قضية الخيانة الزوجية من الطرفين.
- مسرحية "الشياطين" عام ١٩٧١م. وتتعامل مع قضية الصراع الطبقي فى المجتمع السواحلي قبل وبعد الاستقلال. والشيطان يرمز إلى ناهب ثروات الشعوب قديماً وحديثاً أى قبل الاستقلال وبعده.
- مسرحية "الزواج" عام ١٩٨٠م. تدور عقدة المسرحية حول الأجيال الشابة الباحثة عن الزواج فى الاختيار المناسب لشريك العمر، وهى ترمز إلى علاقات المد والجزر فيما بين كينيا وتتنانيا للوحدة فيما بينهما، والصراع بين الرأسمالية

والاشتراكية وخاصة في فترة السبعينات وحتى منتصف
الثمانينات من القرن العشرين.

- مسرحية "عند حافة الغابة" عام ١٩٨٨م. وتتحدث عن الجدل
الحاد القائم بين الموروثات والتقاليد القبلية وبين واقع الحياة
العصرية في المدينة.

وما زال إبراهيم حسين معتكفاً في بيته يقرأ ويؤلف.

المحرر فى سطور:

فاروق طوبان:

- أستاذ جامعى، من شرق أفريقيا.
- عمل أستاذًا للأدب السواحلى فى جامعات شرق أفريقيا وأوروبا.

المترجم فى سطور:

محمد إبراهيم محمد أبو عجل:

ولد فى محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية فى ١٧ / ٦ / ١٩٤٩م،
متزوج وله ثلاثة أولاد. يحمل من الشهادات الدكتوراه فى الأدب
السواحلى من جامعة لندن عام ١٩٨٤م.

وعمل معيدًا ثم مدرسًا ثم أستاذ مساعدًا، ثم أستاذًا بقسم اللغات
الإفريقية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر منذ عام ١٩٧٥م.
وحتى وقتنا الحاضر.

وتقلد رئاسة القسم أكثر من مرة، وعدة لجان علمية بالكلية،
ووكالة الكلية من عام ٢٠٠٧ / وحتى ٢٠٠٩م.
وسافر إلى أمريكا وأوروبا وإفريقيا باحثًا ومناقشًا، ومشرفًا،
وأستاذًا، وخبيرًا لليونيسيف واليونسكو.

وأشرف على أكثر من عشرين رسالة ماجستير ودكتوراه
داخل مصر وخارجها. وقام بترجمة عدة كتب ومؤلفات تعليمية
وآلاف الأوراق السواحلية للجامعات والمؤسسات والهيئات الحكومية
وغير الحكومية، وعلى رأس هذه الترجمات ترجمة تفسير المنتخب
للقرآن الكريم من العربية إلى السواحلية مع زملاء آخرين لوزارة
الأوقاف المصرية، وراجع عدة ترجمات سواحلية لمعاني القرآن
الكريم للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وللأزهر الشريف.

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز

الإشراف الفنى: حسن كامل

صرخة حق حاجز الزمن

إن مسرحية "صرخة حق" هي ملحمة للصراع بين العمال الأفارقة في قارتهم الإفريقية وبين ظلم أصحاب المزارع من الأوروبيين المهاجرين إلى إفريقيا، وقد استولوا على هذه المزارع بطرائقهم المختلفة، شرعية كانت أم غير شرعية. تقود هذا الصراع امرأة إفريقية جسور، حررت نفسها فكرياً قبل أن تحرر غيرها، فأظهرت مدى الظلم الواقع على أهل حرفتها من العمال المزارعين من جانب، وكذلك الواقع على المرأة الإفريقية من جانب آخر. وتنجح في شحذ همم زملائها العمال بأن يتظاهروا مقاومين الظلم ومدافعين عن حقوقهم المسلوبة. هذه المظاهرات وتلك المقاومات تجلب وعياً سياسياً يكون هو الشرارة الأولى لحرب تحرير الوطن بأكمله من الاستعمار الأوربي.

أما "حاجز الزمن" فهي مسرحية سواحيلية فريدة من نوعها رغم قصر إبراهيم حسين استطاع من خلالها أن يخمد حرباً حادة كانت قائمة في شرق أولئك الذين يتشبثون بالعادات والتقاليد الإفريقية من جانب، وأولئك الذين وراء تقليد ما في العالم الجديد لارتداء كل ما فيه فجأة، سواء أكان ملائماً وم والعباد أم غير ذلك.

استطاع إبراهيم حسين في مسرحيته هذه أن يعالج الجدل الحاد المثار من الفرق بلغة العقل والمنطق. فبين أن الثقافتين (الإفريقية والأوربية) بعاداتهما وتقاليدهما المستحسن والمستهجن، وفيهما كذلك ما ليس مفهوماً فهماً حقيقياً لكل فريق. فأخذ يحاور الفريقين، ويشرح لهما ما خفى عليهما حتى أزال عنهما اللبس وسوء الفهم، وذلك بلغة جذابة.

Bibliotheca Alexandrina



0742639